Journal of the Faculty of Arts (JFA)

Volume 81 | Issue 2 Article 22

4-1-2021

# Prophet's praise poem Between al-Busiri and Shawqi

Abdel Fattah Abdel Mohsen Al Shatti
*Faculty of Arts - Cairo University - Khartoum Branch*, abdulshatty777@gmail.com

Follow this and additional works at: https://jfa.cu.edu.eg/journal

Part of the Arabic Language and Literature Commons

## Recommended Citation

Al Shatti, Abdel Fattah Abdel Mohsen (2021) "Prophet's praise poem Between al-Busiri and Shawqi," *Journal of the Faculty of Arts (JFA)*: Vol. 81: Iss. 2, Article 22.
DOI: 10.21608/jarts.2021.238250
Available at: https://jfa.cu.edu.eg/journal/vol81/iss2/22

This Original Study is brought to you for free and open access by Journal of the Faculty of Arts (JFA). It has been accepted for inclusion in Journal of the Faculty of Arts (JFA) by an authorized editor of Journal of the Faculty of Arts (JFA).

# قصيدة المديح النبوي ﷺ
# بين البوصيري وشوقي (*)

أ.د عبد الفتاح عبد المحسن الشطي

كلية الآداب – جامعة القاهرة – فرع الخرطوم

**الملخص**

**قصيدة المديح النبوي (صلى الله عليه وسلم)**

**بين البوصيري وشوقي**

**بدأت قصيدة المديح النبوي دفاعًا عن الإسلام، مثل ما جاء عند حسان بن ثابت (رضي الله عنه)، أو اعتذارًا عما بدر من جاهلية، مثل لامية كعب بن زهير (رضي الله عنه).**

**في العصر الأموي اقترنت قصيدة المديح النبوي بمديح آل البيت (رضي الله عنهم)؛ كما وجدنا عند الفرزدق، وعند الكميت بن زيد الشيعي. وسار الأمر كذلك عند المخضرمين من الأمويين والعباسيين، حيث مدح السيد الحميري عليًّا (كرم الله وجهه) في قصيدته (المُذهَّبة). وتوالى مديح آل البيت، رثاءً للحسين بن علي (رضي الله عنهما)، ومديحًا لهم، في شعر الشريف الرضي وتلميذه مهيار الديلمي. واستمر المديح في العصر الفاطمي، وبعد انهيار الدولة الفاطمية استبقى صلاح الدين من أعيادها عيدَ المولد النبوي، ذلك الذي كان مجالًا رائعًا لازدهار قصيدة المديح النبوي.**

(*) **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨١) العدد (٤) أبريل ٢٠٢١.**

**Abstract**

The poem of praise of the Prophet began with defense of Islam, like what is existed in the poems of Hassan bin Thabit (may Allah be pleased with him), or an apology for what happened in the pre-Islamic era, like Lamiyt Kaab bin Zuhair (may Allah be pleased with him).

In the Umayyad era, the poem of praise of the prophet was associated with the praise of the people of the house of prophet Muhammed (may Allah be pleased with them), as we found in the poems of Al-Farazdaq, and Shiite Al-Kumait bin Zaid, and it went like that for the veterans poets Umayyad and Abbasid, when Al-Sayyed Al-Hemyari praised Ali Bin Aby-Taleb (may Allah be pleased with him) in his poetry (Al-Mothahaba).

Praise the people of the house of prophet Muhammed continued, lamenting for Al-Hussain bin Ali (may Allah be pleased with them), and praising them, in the poetry of Al-Sharif Al-Radi and his student Mihyar Al-Dailami.

Praise continued in the Fatimid era, after collapse of the Fatimid state, Salah Al-Din kept the prophet's birthday from its feasts, which was a wonderful field for the prosperity of the poem of prophet's praise.

**مقدمة**:

احتلت قصيدة المديح النبوي بما تحمل من قيم وروحانيات مساحة كبيرة من ديوان الشعر العربي منذ بدء الدعوة وتوافد أبناء القبائل على الرسول ﷺ، ومرورًا بالأعصر الإسلامية الأخرى حتى عصرنا الحديث.

فلقد بدأ تيار المديح منذ انبرى الصحابي الشاعر حسان بن ثابت للرد على شعراء الوفود يفخرون بكرمهم وسيادتهم، بقصائد فورية مناقضة ومعارضة يشيد فيها بخصال النبي الكريم ومكانته هو وصحبه على نحو ما نعرف عن عينيته الشهيرة.

ومنذ نذر حسان لسانه وجنانه لمديح محمد، والنضال عن دعوته، وهجاء

أعدائه، وتبعه من بعد صحابة آخرون من الشعراء مثل كعب بن مالك وعبدالله بن رواحة. ومنذ آوى كعب إلى كنف الإيمان وإلى النبي معتذرًا ومادحًا بلاميته الشهيرة التي احتفى بها الشعراء فيما تلى من العصور.

وإذا كان الرثاء في رأي البعضِ مديحًا للراحل عن عالمنا، فإن مراثي حسان وغيره في نبي الإسلام ﷺ تُعد في كثير من أبياتها من أوائل شعر المديح النبوي.

وبغير شك كان لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه قسط كبير في خطابته من النثر الفني في مديح صفيه ونبيه بما يعكس مع قوة بيانه عاطفته المتدفقة على نحو ما يلقانا في السَّفْر القيم المنسوب إليه: ( نهج البلاغة ).

حتى إذا كان زمن بني أمية جاءنا المديح النبوي في قصائد تقرن به مديح أهل البيت على نحو ما يلقانا في بعض شعر الفرزدق، وكذا البائية الشهيرة وغيرها للكميت ابن زيد وهو من الشيعة المعتدلين. ويسير في نفس الاتجاه: أعني مديح آل البيت السيد الحميري، وهو من شعراء دولتي بني أمية والعباسيين المخضرمين، حين مدح عليًّا بمطولة عُرفت بالمذهبة. ثم يلقانا دعبل الخزاعي، وله تائية في مديح آل بيت النبي ﷺ تبين فضلهم وارتفاعهم على الأمويين. ويستمر هذا التيار الشيعي الكبير في مديح آل البيت قلائد في رثاء صريع كربلاء: الحسين بن علي وآل البيت، لدى الشريف الرضي، ثم تلميذه مهيار الديلمي من بعد.

وفي مصر زمن الفاطميين تلقانا قصائد المديح النبوي خالصة للرسول ﷺ، « دون أن يكون المديح فيها تابعًا لتعداد مناقب آل البيت، أو رثائهم »[١]. وربما كانت أولى هذه القصائد « القصيدة المعرفة بـ ( الشقراطيسية )، نسبة إلى مؤلفها أبى عبدالله محمد ... الشقراطيسي التوزري »[٢]، وقد ختم بهذه القصيدة كتابه « الإعلام بمعجزات النبي عليه السلام »، ومطلعها : الحمد لله منا باعث الرسل، وتقع في ١٣٥ بيتًا[٣].

وحينما قضى صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية، ومحا رسومها، لم يستبق من الأعياد التي استحدثتها إلا عيد المولد النبوي، الذي ظل المسلمون في شرق العالم الإسلامي يحتفلون به، وإن كان اتخذ طابعًا من الجلال والفخامة على نحو جديد لدى قائد من قواد صلاح الدين وكبار رجاله، هو الملك المظفر أبو سعيد كوكبوري بن علي كجك صاحب مدينة إربل بقرب الموصل(٤).

وفي ظل الاحتفال بالمولد النبوي نمت وانطلقت حركة شعرية واسعة النطاق، موضوعها المدائح النبوية مما كان يُنشد بمناسبة هذه الاحتفالات، التي أصبحت منذ ذلك الوقت تقليدًا ثابتًا في جميع بلاد المشرق في العراق والشام ومصر، حتى إننا نرى دواوين كاملة تفرد لهذا الموضوع، وشعراء كادوا يتخصصون فيه(٥).

ومن هؤلاء الشعراء في العراق جمال الدين يحيى بن يوسف الأنصاري، المعروف بالصرصري، نسبة إلى صرصر، قرية قرب بغداد، ولد سنة ٥٨٨هـ، واستشهد عندما اقتحم مغول هولاكو بغداد وأطاحوا بالخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ(٦).

كذلك يلقانا أواخر القرن السادس، وأوائل السابع في الشام كوكبة من كبار الشعراء، الذين نظموا في هذا الفن كثيرًا من قصائدهم، منهم علي بن محمد الدمشقي المعروف بابن الساعاتي ( عاش بين ٥٥٣ و ٦٠٤هـ)(٧).

ويُعد ابن الساعاتي – شاعر صلاح الدين – نموذجًا لاشتداد تيار المديح النبوي في مواجهة الحروب الصليبية، وحروب التتار، يقول في أبيات من قصيدة يعارض فيها لامية كعب بن زهير:

**هو البشيرُ النذيرُ العدلُ شاهِدُه وللشهادة تجْريحٌ وتعديلُ**
**لولاه لم تكُ لا شمسٌ ولا قمرٌ ولا الفراتُ وجاراهُ ولا النِّيل(٨)**

ومن شعراء الشام أيضًا في هذه الفترة فتيان الشاغوري (المتوفى سنة

٦١٥هـ)[٩].

« ويكاد المديح النبوي منذ بداية القرن السابع يكون موضوعًا لا يتخلف عنه شاعر في مصر، فمنهم المقل ومنهم المكثر، ومنهم من كانوا يفردون له دواوين كاملة، وأعان على ذلك ازدهار الفكر الصوفي »[١٠].

ويبرز في مصر في الثلث الأول من القرن السابع صوفيّها الكبير عُمر بن الفارض (المتوفى سنة ٦٣٢هـ)، وكان أكثر تغنيه بالحب الإلهي[١١].

وحيث اقتضانا المنهج أن نتتبع نشأة فن المديح النبوي تاريخيًا تتبعًا سريعًا، فمن الواجب أن نشير إلى أنّ غاية هذا البحث هو تَتَبُّعُ بعض أوجه التأثير والتأثر بين اثنين من الشعراء الكبار أبدعا في قصيدة المديح النبوي: أولهم البوصيري رائد فن المديح النبوي، ثم شوقي شاعر العصر الحديث وله قلائد ثلاث شهيرة في شعرنا العربي الحديث.

سوف نقف عند قصيدة المديح النبوي عند البوصيري لنتبين كيف تأثر الشعراء قبله، وكيف أثر فيمن بعده، وفيم تناصَّ مع سابقيه، وفيم كان استمداده من الذكر الحكيم، أو من بعض الحديث الشريف.

ولأمير الشعراء قصائد ثلاثة دارت حول مديح الرسول ﷺ وقفنا معها أيضًا – مع تميز صنعة شوقي – عند أوجه التأثر بالبوصيري، والبارودي كليهما وفيم كان الفوق.

## البوصيري :

أراه رائد فن المديح النبوي، له السبق والفوق، فيما اعترف له شوقي في قصيدته (نهج البردة)، حين قال:

**المـــادِحونَ وَأَربـــابُ الهَـــوى تَبَـــعٌ لِصاحِـــبِ البُـــردَةِ الفَيحـــاءِ ذي القَـــدَمِ**
**اللَـــهُ يَشـــهَدُ أَنّـــي لا أُعارِضُـــهُ من ذا يُعارِضُ صَوبَ العارِضِ العَرِمِ[١٢]**

إنه أبو عبدالله شرف الدين بن سعيد البوصيري (٦٠٨-٦٩٨هـ)[١٣]. له قصائد عديدة في المديح النبوي، منها ما نظمه قبل توجهه للحج، وأهمها

مُعارضته لكعب ابن زهير، ولاميته في الرد على اهل الكتاب، وقد ختمها بمدح الرسول ﷺ، وبالتعبير عن شوقه لزيارته. وله قصائد في أثناء رحلته للحج، وأمام الضريح النبوي، وعلى أثر أداء الفريضة. وبعد عودته إلى مصر نظم أشهر مدائحه، وهما قصيدتان: همزيته التي سماها (أم القُرى في مدح خير الورى)، وبردته التي دعاها (الكواكب الدرية في مدح خير البرية)[١٤].

همزية البوصيري :

نظم الشاعر هذه القصيدة الطويلة في وزن الخفيف، وتربو على أربعمئة وخمسين بيتًا، استهلها مباشرة، ومنذ البيت الأول بما يوضح هدفه الموضوعي من نظمها، فضلاً عما دفعه من عاطفة الحب والإعجاب بشخصية الرسول وسيرته. هذا الهدف هو ( إعلاء محمد ﷺ، صاحب الحِمىَ، الذي يُدافع عنه المسلمون دفاعًا مستميتًا، على جميع الأنبياء: عيسى صاحب الصليبيين، وغير عيسى من المرسلين ...)[١٥].

لقد أعرض البوصيري في قصيدته الهمزية عن التقليد المتبع بالبدء بالغزل الوقور، على نحو ما يلقانا في قصيدته الأخرى ( البردة )، فبدا مشرقًا مع التجرد للهدف والاستهلال المباشر به روح الصدق في العاطفة، والتحرر من أسر التقليد، إلى رحابة التحليق في السماوات العُلا:

**كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الأَنْبِيَاء يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ**
**لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُلاَكَ وَقَدْحَا لَ سَنًا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ**
**إِنَّمَا مَثَّلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّا سِ كَمَا مَثَّلَ النُّجُومَ الْمَاءُ**
**أَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصْدُرُ إِلاَّ عَنْ ضَوْئِكَ الأَضْوَاءُ**
**لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ وَمِنْهَا لآدَمَ الأَسْمَاءُ**[١٦]

وهي ذي الأبيات تتحدث بنفسها عن مكانة نبي الإنسانية، في بناء فني مؤثر، وأسلوب رصين، وتصوير يليق بجلال الموقف. إن الاستفهامات ( التعجبية ) التي تغشى هذه القصيدة منذ بدايتها تعكس في وضوح قوة انبهاره بحبيبه محمد ﷺ، وآية ذلك المطلع الرائع الذي يبدو بغير نظير لدى شعراء

المديح، حيث يقول البوصيري الرائد:

**كَيْـــفَ تَرْقَـــى رُقِيَّـــكَ الأَنْبِيَـــاء   يَـــا سَـــمَاءً مَـــا طَاوَلَتْهَـــا ســـمَاءُ**

ونقف عند هذا المطلع القوي لنتبين أن الشطر الأول – كما ذكرنا – استفهام تعجبي، إذ يبدأ ( بكيف ) ؟! وهو ينكر بهذا الاستفهام بدايةً على غير محمد ﷺ من الأنبياء أن يتسنم مكانته الرفيعة السامقة.

كما نتبين أن الشطر الثاني نداء بصوت مرتفع يعين عليه صوتيًا تتابع حرف الألف، وكثرته، إذ بلغ هذا الصوت في هذا الشطر – وحْدَهُ – ستة. وإذ يستخدم النكرة غير المقصودة ( يا سماءً )، وأنى يبلغ أي من الأنبياء مكانة النبي الخاتم ... ؟!

وتوالي النفي في البيت التالي :

**لَـــمْ يُسَـــاوُوكَ فِـــي عُـــلاَكَ وَقَـــدْحَا   لَ سَـــنًا مِنْـــكَ دُونَهُـــمْ وَسَـــنَاءُ**

ومع النفي: ( لم يساووك في عُلاك .. ) نراه يستخدم جملة الحال، ليُجَلّيَ عن النور والرفعة، وهذا السمت الشاهق الذي لا مجال لبشر أن يرقى إليه في رفعته وسناه، فقال: حال الضوء المبهر كما حال بُعد المكان ورفعة المكانة بين البشـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــر – حتى الأنبياء منهم – وبين أن يُسَامقُوا " سَيِّدَ الْكَوْنَين ".

ثم طَفِقَ يستخدم أسْلُوب القَصْر مع أداة الحصر ( إنما ) في تشبيه تمثيلي دقيق:

**إِنَّمَـــا مَثَّلُـــوا صِـــفَاتِكَ لِلنَّـــا   سِ كَمَـــا مَثَّـــلَ النُّجُـــومَ الْمَـــاءُ**

فكأنما أراد أن يعكس لنا من حيث يدري أو لا يدري لمحة من نظرية ( المُثل والصور) الأفلاطونية.

فصفات الرسول ﷺ كائنة في ( عالم المُثل ) الرفيع، وصفات غيره من الناس– ومنهم أنبياء الله – وإن حاولوا التشبه بالنبي في صفاته العليا، لا تزيد على كونها من ( عالم الصُور )، لا تعكس الحقيقة في دقة، وإنما تختلف

اختلافًا بينًا عن الأصل في مثاليته، فتبدو للناس محاكاة مهتزة مختلفة: ( كما مثَّل النجوم الماء ).

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو نبعُ النورُ وأصله :

**أَنْـــتَ مِصْـــبَاحُ كُـــلِّ فَضْـــلٍ فَمَـــا تَصْـــدُرُ إِلاَّ عَـــنْ ضَـــوْئِكَ الأَضْـــواءُ**

وقد سبق العلم بمحمد سيد المرسلين، في اللوح المحفوظ، فمكانته – فيما يرى الشاعر – قد سبقت آدم، كما بشرت به الأنبياء فيما نزل عليهم من الكتُب السماوية، وكما ورد في القرآن، فهو – فيما يرى البوصيري – من قبل آدم، ومن بعده، فاضت منه العلوم، ونبع منع الخير والنور.

**لَـــكَ ذَاتُ الْعُلُـــومِ مِـــنْ عَـــالِمِ الْغَيْـــبِ وَمِنْهـــا لآدَمَ الأَسْـــمَاءُ**
**مَـا مَضَـتْ فَتْـرَةٌ مَـنَ الرُّسْـلِ إِلاَّ بَشَّـرَتْ قَوْمَهَـا بِـكَ الأَنْبِيَـاءُ**[١٧]

أما تاج العلاء على مفرق العصور سموًا ورفعةً، فيعبر عنه قوله :

**تَتَبَـاهَى بِـكَ الْعُصُـورُ وَتَسْـمُو بِـكَ عَلْيَـاءُ بَعْـدَهَا عَلْيَـاءُ**[١٨]

وواضح أنَّ اختيار المفردات، والعناية بتركيبها في الجملة، قد أديا دورهما الكبير في هذا البيت.

وإلى البوصيري يرجع الفضل في التناول الشعري المؤثر لذكرى مطلع النور، بميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم، فنراه يقول:

**وَمُحَيّـاً كَالشَّـمْسِ مِنْـكَ مُضِـيءٌ أَسْـفَرَتْ عَنْـهُ لَيْلَـةٌ غَـرَّاءُ**
**لَيْلَـةُ الْمَوْلِـدِ الـذِي كَـانَ لِلدِّيـ ـنِ سُـرُورٌ بِيَوْمِـهِ وَازْدِهَـاءُ**
**وَتَوَالَـتْ بُشْـرَى الْهَوَاتِـفِ أَنْ قَـدْ وُلِـدَ الْمُصْـطَفَى وَحُـقَّ الْهَنَـاءُ** [١٩]

ونرى شوقي يتأثر هذه المعاني في همزيته النبوية الأخرى، وهي في وزن الكامل، ويقول متناولاً بإجلال حادثة ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم:

**بِـكَ بَشَّـرَ الـلَّهُ السَـماءَ فَزُيِّنَـت وَتَضَوَّعَـت مِـسكاً بِـكَ الغَبـراءُ**
**وَبَـدا مُحَيّـاكَ الَّـذي قَسَـماتُهُ حَـقٌّ ، وَغُرَّتُـهُ هُـدىً وَحَيـاءُ**
**يَـومٌ يَتـيهُ عَلـى الزَمـانِ صَـباحُهُ وَمَسـاؤُهُ بِمُحَمَّـدٍ وَضّـاءُ** [٢٠]

وحيث يقول البوصيري:

**يَـوْمَ نَالَـتْ بِوَضْـعِهِ ابْنَـةُ وَهْـبٍ مِـنْ فَخَـارٍ مَـالَمْ تَنَلْـهُ النِّسَـاءُ**[٢١]

فإننا نلمح شوقي يتناص مع هذا البيت، ولكن في موضع آخر، وبتأثره حيث يقول في (شكسبير):

**نالـت بـه وحـده إنجلتـرا شـرفًا ما لم تنال بالنجوم الكُثر جوزاءُ**[٢٢]

ومن هذا التأثير أيضًا بيت شوقي في الهمزية النبوية:

**يأَيُّهـا المُسـرى بِـهِ شَـرَفًا إِلـى مـا لا تَنَـالُ الشَـمسُ وَالجَـوزاءُ**[٢٣]

همزية البوصيري وتأثره بمعلقة الحارث اليشكري :

وحيث نُعني ( بالتناصّ ) أو بالحرى: بالاستعارات الفنية بين السابق واللاحق، وبين الشاعر والشاعر القديم، فإننا نقف ابتداءً لنؤكد أن البوصيري استعار الإطار الموسيقى من الوزن والقافية الهمزية من الشاعر الرزين صاحب المعلقة الحارث بن حلزة اليشكري البكري، وقد تمثلها البوصيري، بل وربما وضعها نصب عينيه، فراح ينظم معزوفته النبوية الطويلة، في إطارها، وإن تجاوزها – لطبيعة اختلاف العصر والموضوع والثقافة – وفاقها كمًا وكيفًا[٢٤].

أما معلقة الحارث البكري، فهي التي يقول في أولها:

**آذنتنـــا ببينهـــا أســـماءُ رُبَّ ثـــاوٍ يُمـــلُّ منـــه الثَّـــواءُ**
**بعـد عهـدٍ لهـا ببرقـة شـمّا ءَ ، فـأدنى ديارهـا الخلصـاءَ**[٢٥]

وهي أيضًا في وزن الخفيف، وتفعيلاته: فاعِلاتُنْ مُستفْعِلنْ فاعِلاتُنْ.

وهي قصيدة رصينة هادئة النَّغْم، أنشدها الشاعر فيما كان بين بكر وتغلب من خصومة، يرد بها على معلقة الشاعر التغلبي عمرو بن كلثوم وما غشيها من تهديد، وتوعد في خطابية صارخة، حيث يخالف الحارث بن حلزة هذا السنن الجاهلي من الصخب والنزق إلى محاولة التأثير العقلي على المتلقي، مستعينًا بضرب من الحوار الذي لا عهد لكثير من الجاهليين به، إلَّا من كان من أولي الفضل، وأهل الحكمة، وقليل ما هم.

ولم نبالغ إذ قلنا إن البوصيري قد تمثل هذه القصيدة المعلقة، وتناص معها، وقد أعجبه فيها طابع الاتزان، والحجاج المنطقي في الرد على دعاوى الخصوم، من خلال مجموعة من الاستفهامات ( الإنكارية )، وخلال هذا الحوار:

**أعلينا جُناحُ كِندةَ أنْ يَغْنَمَ غازيهمُ ، ومنَّا الجزاءُ ؟**
**أمْ علينا جرَّى حنيفةُ أو ما جمعتْ من مُحارب غبْراءُ ؟**
**أمْ جنا يا بني عَتيقٍ ، فمن يغدرْ فإنّا منْ حَربْهم بُراَءُ ؟**
**أمْ علينا جرَّى العبادِ كما نيط بجوْزِ المُحمَّل الأعباءُ ؟**
**أمْ علينا جرَّى قُضاعةَ أمْ ليْس علينا فيما جَنَوا أنداءُ ؟**
**أمْ علينا جرَّى إيادٍ كما قيل ، لِطَسْمٍ أخُوكُمُ الآبَاءُ ؟**(٢٦)

إن تأثر البوصيري بهذه الأبيات، ونهجها في السخرية الهادئة من خلال أسلوب الاستفهام، ثم تكرار ( أمْ ) في صدر مجموعة متتالية من الأبيات، يبدو شديد الوضوح في حجاجه أصحاب المِلل الأخرى يلحى عليهم، وعلى جحافل الصليبيين هجومهم الآثم على نبي الإسلام، مناقشًا عقيدتهم، مبطلاً حججهم، في مجموعة من الجُمل الاستفهامية، تسبق معظمها أداة الاستفهام ( أمْ ) :

**أَ إلِهٌ مُرَكَّبٌ مَا سَمِعْنَا بِإِلَهٍ لِذَاتِهِ أَجْزَاءُ!**
**أ لكُلٍّ مِنْهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْـ ـكِ فَهَلاَّ تُمَيَّزُ الأَنْصِبَاءُ؟**

**أمْ هُمُ خللوا بها شركة الأبدان ، أم هُمْ لبعضهم كُفلاءَ ؟**
**أَمْ سِوَاهُمْ هُوَ الإِلَهُ فَمَا نِسْبَةُ عِيسَى إِلَيْهِ وَالإِنْتِمَاءُ؟**
**أَمْ أَرَدْتُمْ بِهَا الصِّفَاتِ فَلِمْ خُصَّتْ ثُلاَثٌ بِوَصْفِهِ وَثُنَاءُ؟**
**أَمْ هُوَ ابْنٌ للهِ مَا شَارَكَتْهُ فِي مَعَانِي الْبُنُوَّةِ الأَنْبِيَاءُ ؟**(٢٧)

وواضح أيضًا تأثره في الأبيات بالمحاجة القرآنية في قوله : ( ألكلّ منهم نصيب من المُلك ... ؟ ) حيث يقول تعالى مُحاجًا أهل الكتاب : ﴿ **أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا** ﴾ [النساء: ٥٣].

ونرى شدة إعجاب البوصيري بهمزية الحارث، اقتباسًا واضحًا من مطلع

المعلقة، حين يقول في وصف حالة حليمة مرضعة النبي أثناء حادثة شق الملائكة قلبه، بحيث يبدو هذا البيت قرينة واضحة لما أكدناه من التأثر:

**فَارَقَتْـــهُ كَرْهـــاً وَكَـــانَ لَـــدَيْهَا ثَاوِيًـــا لاَ يُمَـــلُّ مَنْـــهُ الثَّـــوَاءُ**[٢٨]

في مواجهة الغزو الصليبي :

والقصيدة الهمزية البوصيرية تعبر عن محنة الشاعر ومعاصريه بالغزو الصليبي القادم من الغرب، فضلاً عن جحافل التتار القادمة من الشرق، وكان قدَر الطرق الصوفية أن تتصدى بجماهيرها المؤمنة – وراء القادة، في القرنين : السادس والسابع الهجريين – لترد بالجهاد المثابر عنت الغزاة، وموجاتهم العاتية. ولهذا اعتصم أبناء مصر والشام بالدين، واستغاثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤيدهم الله تعالى بنصره.

لهذا فإن مدائح البوصيري النبوية هو وغيره من الشعراء في هذه الحقبة تُعد صدىً وجدانيًا وعقيديًا لهذه الأحداث التاريخية الكبرى، وكما ذكرنا ردًا فنيًا وجماليًا وعقليًا على مزاعم هؤلاء الصليبيين في اجترائهم على المسلمين، وأرضهم، ونبيهم. فجاءت هذه القصائد لتعبر عن حالة وجدانية إيمانية، ولتعكس توترًا عاطفيًا في عزف شعري طويل، تستمد من الموروث الجاهلي والإسلامي تارة، ومن القرآن الكريم بناه وتعبيراته، وحجاجه أهل الكتاب، ودفاعه عن الرسول تارة أخرى، فضلاً عن بسط كبرى أحداث حياة محمد صلى الله عليه وسلم، وفي بنية شعرية مسرفة الطول:

ولأن الشاعر يحب ممدوحه الجليل القدر، فهو يأسى لما يصيبه من أذى تمثل في جُحود قومه في مكة في بداية الدعوة :

**وَيْـــحَ قَـــوْمٍ جَفَـــوْا نَبِيّـــاً بِـــأَرْضٍ أَلِفَتْـــــهُ ضِـــــبَابُهَا وَالظِّبَـــــاءُ**
**وَسَـــلَوْهُ وَحَـــنَّ جِـــذْعٌ إِلَيْـــهِ وَقَلَـــــــوْهُ وَوَدَّهُ الْغُرَبـــــــاءُ**
**أَخْرَجُـــوهُ مِنْهَـــا وَآوَاهُ غَـــارٌ وَحَمَتْـــهُ حَمَامَـــةٌ وَرْقَـــاءُ**[٢٩]

ولا ينـي يعبر عن أساه بإزاء نبيه المحبوب، وما تعرض له من افتراء وأقاويل باطلة حين جحدوا الهدى والبينات:

**فَأَطَـــالُوا فِيـــهِ التَّـــرَدُّدَ والرَّيْـــبَ فَقَـــالُوا سِـــحْرٌ وَقَـــالُوا افْتِـــرَاءُ**
**وَإِذَا الْبَيِّنَـــاتُ لَـــمْ تُغْـــنِ شَـــيئًا فَالْتِمَـــاسُ الْهُـــدَى بِهِـــنَّ عَنَـــاءُ**
**وَإِذَا ضَـــلَّتِ الْعُقُـــولُ عَلَـــى عِلْـــمٍ فَمَـــاذَا تَقُولُـــهُ النُّصَـــحَاءُ**(٣٠)

ويعرف البوصيري للكلمة دورها في الجهاد، فيتوجه إلى أصحاب الحملات الصليبية بأعنف اللوم حين أساءوا لنبي الإنسانية، وحين أهدروا قيم المسيحية السمحاء:

**لَـــوْ جَحَـــدْنَا جُحُـــودَكُمُ لاَسْـــتَوَيْنَا أَوَ لِلْحَـــقِّ بِالضَّـــلاَلِ اسْـــتِوَاءُ**
**مَـــالَكُمْ إِخْـــوَةَ الْكِتَـــابِ أُنَاســـاً لَـيْسَ يُرْعَـى لِلْحِـقِّ مِـنْكُمْ إِخَـاءُ**(٣١)

ويسترسل الشاعر في إنكاره مسلكهم الآثم في معادل فني يثبت فيه أن الرسول حقٌ كما ورد في الكتب، ويشير إلى قوة المجاهدين في التصدي ومحق الباطل:

**بَيَّنَتْـــهُ تَـــوْرَاتُهُمْ وَالأَنَاجِيـــلُ وَهُـــمْ فِـــي جُحُـــودِهِ شُـــرَكَاءُ**
**عَرَفُـــوهُ وَأَنْكَـــرُوهُ وَظُلْمًـــا كَتَمَتْـــهُ الشَّـــهَادَةَ الشُّـــهَدَاءُ**
**أَوَ نُـــورَ الإِلَـــهِ تُطْفِئُـــهُ الأَفْـــوَاهُ وَ هْـــوَ الـــذِي بِـــهِ يُسْتَضَـــاءُ**
**أَوَ لاَ يُنْكِـــرُونَ مَـــنْ طَحَنَـــتْهُمْ بِرَحَاهَـــا عَـــنْ أَمْـــرِهِ الْهَيْجَـــاءُ**(٣٢)

والكثير من أبيات البوصيري خاصة تلك التي تصور رحلة الحج، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجده، تغشاها الروحانية، وصدق التجربة، صدقًا يعرفه من أتاحت له المقادير هذه الرحلة الروحية، فهو يصور لحظة الوصول:

**أَيُّ نُـــورٍ وَأَيَّ نَـــوْرٍ شَـــهِدْنَا يَـــوْمَ أَبْـــدَتْ لَنَـــا الْقِبَـــابَ قُبَـــاءُ ؟!**
**قَـــرَّ مِنْهَـــا دَمْعِـــي وَفَـــرَّ اصْـــطِبَارِي فَـــدُمُوعِي سَـــيْلٌ وَصَـــبْرِي جُفَـــاءُ**(٣٣)

وفي تلقائية عذبة يُصور موقف السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

**وَقَرَأْنَـــا السَّـــلاَمَ أَكْـــرَمَ خَلْـــقِ اللهِ مِـــنْ حَيْـــثُ يُسْـــمَعُ الإِقْـــرَاءُ**

**وَذَهِلْنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ وَكَمْ أَذْهَلَ صَبّاً مِنَ الْحَبِيبِ لِقَاءُ**[٣٤]

وتظل العبارة القرآنية تشرق في جمل البوصيري الشعرية، من ذاك قوله عن الصحابة رضوان الله عليهم:

**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ فَأَنَّى يَخْطُو إِلَيْهِمْ خَطَاءُ ؟**[٣٥]

فهو تأثر بقوله تعالى : ﴿ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴾ [البينة: ٨]، كذلك قوله:

**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لاَنَتْ صَخْرَةٌ مِنْ إِبَائِهِمْ صَمَّاءُ**[٣٦]

تأثر واضح بقوله تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهذه مجرد إشارات نأتي بها على سبيل المثال، إذْ تغشى العبارات القرآنية الكثير من أبيات البوصيري.

أما الصدق الوجداني، فيشرق في مناجياته الرسول، يرتل عليه أغنيات الحب النبوي العذاب:

**يَا نَبِيَّ الْهُدَى إِغَاثَةَ مَلْهُوفٍ أَضَرَّتْ بِحَالِهِ الْحَوْبَاءُ**
**يَدَّعِي الْحُبَّ وَهْوَ يَأْمُرُ بِالسُّو ءِ وَمَنْ لِي أَنْ تَصْدُقَ الرَّغْبَاءُ**
**كَيْفَ يَصْدَا بِالذَّنْبِ قَلْبُ مُحِبٍّ وَلَهُ ذِكْرُكَ الْجَمِيلُ جِلاَءُ ؟**
**هَذِهِ عِلَّتِي وَأَنْتَ طَبِيبِي لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ فِي الْقَلْبِ دَاءُ**[٣٧]

وتتوالى نغماتُ الصّدْق في الحُبّ النبويّ الرُوحيّ:

**أَبِذِكْرِ الآيَاتِ أُوفِيكَ مَدْحاً أَيْنَ مِنِّي وَأَيْنَ مِنْهَا الْوَفَاءُ ؟**
**وَلَكَ الأُمَّةُ التِي غَبَطَتْهَا بِكَ لَمّا أَتَيْتَهَا الأَنْبِيَاءُ**
**لَمْ تَخَفْ بَعْدَكَ الضَّلاَلَ وَفِينَا وَارِثُو نُورِ هَدْيِكَ الْعُلَمَاءُ**
**فَانْقَضَتْ آيُ الأَنْبِيَاءِ وَآيَا تُكَ فِي النَّاسِ مَا لَهُنَّ انْقِضَاءُ**
**إِنَّ مِنْ مُعْجِزَاتِكَ الْعَجْزَ عَنْ وَصْـ ـفِكَ إِذْ لاَ يَحُدُّهُ الإِحْصَاءُ**[٣٨]

ولا أدري أهي فكرة " اللامتناهي " الرياضية التي ألهمت البوصيري البيت الأخير من هذه الأبيات.

وإنَّ نظرةً لامحة على الطابع الأسلوبي الغالب على الهمزية لتؤكد لنا أن الشاعر لا يفتأ يستخدم الاستفهام بأدواته المتنوعة في المواقف المختلفة وصولاً إلى إبراز فكرته بما يعكس عاطفة الحب الشديد، والانبهار بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وعطائه الخالد للإنسانية.

من ذلك :

**مَـــنْ لِحَـــوَّاءَ أَنَّهَـــا حَمَلَـــتْ أَحْمَـــدَ أَوْ أَنَّهَـــا بِـــهِ نُفَسَـــاءُ ؟**

ومن الاستفهام التعجبي :

**كَـــمْ رَأَيْنَـــا مَـــا لَـــيْسَ يَعْقِـــلُ قَـــدْ أَلْهِـــمَ مَـــا لَـــيْسَ يُلْهَـــمُ الْعُقَـــلاَءُ !**

ومن ذلك أيضًا :

**كَـــمْ يَـــدٍ عَـــنْ نَبِيِّـــهِ كَفَّهَـــا اللهُ وَفِـــي الخَلْـــقِ كثـــرةٌ واجتـــراءُ !**

ومما يعكس الإعجاب القوي، قوله مبينًا منزلة الرسول ومعجزته :

**أَمَـــعَ الصُّـــبْحِ لِلنُّجُـــومِ تَجَـــلٍّ أَمْ مَـــعَ الشَّـــمْسِ لِلظَّـــلاَمِ بَقَـــاءُ ؟**

وهو المعنى الذي دارت حوله أبيات الهمزية منذ بدايتها.

وقد لاحظنا أن تأثير همزية البوصيري قد تجاوز شعراء المديح النبويّ، إلى غيرهم من الرومانسيين العرب، فقد تأثر البوصيري وتناص معه بعض هؤلاء الشعراء المحدثين، فحيث يقول البوصيري :

**أَبِـــذِكْرِ الآيَـــاتِ أُوفِيـــكَ مَـــدْحًا أَيْـــنَ مِنِّـــي وَأَيْـــنَ مِنْهَـــا الْوَفَـــاءُ ؟**

وحيث يقول:

**لَـــمْ يُسَـــاوُوكَ فِـــي عُـــلاَكَ وَقَـــدْحَا لَ سَـــنىً مِنْـــكَ دُونَهُـــمْ وَسَـــنَاءُ**

فإننا نرى الشاعر إبراهيم ناجي يقول من قصيدته " الأطلال " :

**أيـــن منّـــي مجلـــسٌ أنـــت بـــهِ فتنـــةٌ تمـــتْ ســـناءٌ وســـنا ؟**[٣٩]

فأعاد استفهام البوصيري وعبارته التي لا أحسبه سُبق إليها ( أين منّي؟)، وكذلك مفردتيه ( سنًّا ) و( سناء ) بمعنى النور، والرفعة، على نحوٍ جديدٍ، وفي سياق غرامي يحلق فيه ناجي في جلال ووقار.

وللبوصيري بائية جميلة تتسم بسهولة الألفاظ مع عذوبة الموسيقا، أنشدها في وزن الوافر، ومطلعها:

**بمَـدْح المُصـطفى تحيـا القُلُـوب وتُغتَفـرُ الخطايـا والـذُّنُوبُ**(٤٠)

وفيها يسير على سنن مدائحه الأخرى، « ويمضي فيصور تعلقه بالرسول وشغفه بزيارته، ويأخذ في وصف مناقبه وشمائله، ويرد على النصارى واليهود مبينًا ضلالاتهم، وينوه بالقرآن الكريم معجزة محمد الكبرى، ويحصي طائفة من معجزاته الحسية، ويشيد بعلماء الأمة وأنصار الرسالة النبوية، ويلجأ إلى الرسول ضارعًا مستغيثًا »(٤١).

لامية البوصيري : ( ذُخْر المعاد .. ) :

ومنذ العصر الأموي والشعراء يبدون إعجابهم عمليًا بلامية كعب بن زهير فيعارضونها، من ذلك معارضة الأخطل، وهي معارضة جزئية على مستوى شكل المقدمة. ومعارضة محمد بن أبي العباس الأبيوردي (ت ٥٠٧هـ)، ومعارضة الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ومن بعد البوصيري عارضها ابن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠هـ) وابن نباته المصري (٧٦٨هـ)(٤٢).

وطمحت نفس البوصيري إلى تلك المعارضة والمحاكاة فنظم قصيدة طويلة في نحو مائتي بيت على زنها وقافيتها وسمّاها « ذُخر المعاد في وزن بانت سعاد »(٤٣).

وحيث يستهلها البوصيري مجددًا بقوله مخاطبًا نفسه :

**إلـى متـى أنـتَ باللَّـذَّاتِ مَشـغُولُ ؟ وَأنـتَ عـن كـلِّ مـا قَـدَّمْتَ مَسـؤُولُ**
**فِـي كـلِّ يَـوْمٍ تُرَجِّـي أن تتـوب غـداً وَعَقدُ عَزمِكَ بالتَّسوِيفِ مَحْلُولُ** (٤٤)

فإنه « عدل في مقدمة مدحته عن الغزل الذي استهل به كعب مدحته،

وكأنه أراد أن يضمّنها مقامات طريقته الشاذلية، وهو يبدؤها بمقام التوبة أو بعبارة أخرى بمقام الفرار من المعاصي، والالتجاء إلى الله، وهو أول مقامات الصوفية »[٤٥].

وتلقانا لامية البوصيري على درجة من الجمال الفني، والصدق العاطفي الذي يضفى عليه أسلوب البوصيري قوة، ووضوحًا، من ذلك أبياته التي تثبت للرسول ﷺ السبق والمكانة، ومعرفة الأنبياء به وبمكانته وقدره، فكأنه أولهم، وهو خاتمهم :

**مُحَمَّدٌ حُجَّةَ اللَّهِ الّتي ظَهَرَت بِسُنَّةٍ ما لها فِي الخَلقِ تَحوِيلُ**
**مَنْ كَمَّلَ اللَّهُ مَعناهُ وصورَتَهُ فَلَم يَفُتهُ عَلَى الحالَيْن تَكْمِيلُ**
**مِنْ آدَمٍ ولِحِينِ الوَضْعِ جَوْهَرُهُ المَكْنُونُ فِي أَنْفَسِ الأَصدافِ مَحمُولُ**
**فلِلنُّبُوَّةِ إتْمَامٌ وَمُبْتَدَأٌ بِهِ وَللفَخرِ تَعجِيلٌ وَتأجِيلُ**[٤٦]

ونقف عند أبيات من هذه القصيدة تشيد بالذكر الحكيم وآياته :

**إن رُمتَ أَكبرَ آياتٍ وأكمَلها كفاكَ مِن مُحكَمِ القُرآنِ تَنزِيلُ**
**وانظُر فَلَيس كَمِثلِ اللَّهِ مِن أَحَدٍ وَلا كَقَولٍ أَتى مِن عِندِهِ قِيلُ**
**تَزدادُ مِنهُ عَلَى تَردادِهِ مِقَةً وكُلُّ قَوْلٍ عَلَى التَّردادِ مُملولُ** [٤٧]

وآخر الأبيات السابقة يشير إلى جانب في الإعجاز القرآني، وهو أنه (لا يخلق على كثرة الردّ)[٤٨]، بل يخبرنا أن آياته يزداد المرء حبالها، وإقبالاً عليها كلما أعاد تلاوتها وترتيلها. بما يذكرنا بحديث شريف شهير في هذا المعنى وغيره[٤٩].

ونلمح « التناص » مع كعب، في البيت الذي يقول فيه :

**وما تَمسَّك بالوَصْلِ زَعَمتْ إلا كما تُمسِكُ الماءَ الغرابيلُ**[٥٠]

حيث يقول البوصيري :

**لا تُمْسِكُ الدَّمْعَ مِنْ حُزْنٍ عُيُونُهُمُ إلاَّ كما يُمْسِكُ المَاءَ الغَرابِيلُ** [٥١]

كأنما أبت على البوصيري صنعته المعارضة إلا أن يوشي قصيدته بصيغ

أثيرة بل بأشطر من لامية كعب.

كذلك نلمح « التناص » مع كعب في البيت الشهير :

**فقلتُ : خلِّو طريقي ، لا أبا لكُمُ فكُلُّ ما قدَّر الرَّحمن مفعولُ**(٥٢)

وذلك حيث يقول البوصيري :

**لِيَقْضِيَ اللهُ أمْراً كانَ قَدَّرَهُ وكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحْمنُ مفعُولُ**(٥٣)

غير أن ثقافة البوصيري، وأثر عصره، وغزارة شاعريته فاضت في هذه القصيدة اللامية التي ربت على مئتي بيت، وفاقت في جملتها وتفصيلها لامية كعب بمحدودية أبياتها، خاصة أنها تعرضت – بطبيعة الحال لأحداث كبرى وبطولات من حياة الرسول، وغزواته، فضلاً عن مديح آل البيت الكرام، وصحابة الرسول رضوان الله عليهم.

إنَّ جوانب معجبة في شخصية الرسول يعرض لها في مديحه :

**يا خيرَ مَنْ رُوِيَتْ لِلناسِ مَكْرُمَةٌ عنهُ وفُصِّلَ تَحْرِيمٌ وَتُحْلِيلُ**
**كَمْ قَدْ أتتْ عنكَ أخبارٌ مَخبِّرَة فِي حُسْنِها أَشْبَهَ التَّفْرِيعَ تَأْصِيلُ**
**تُسْرِى إِلَى النَّفْسِ منها كلما وردَتْ أنْفاسُ وَرْدٍ سَرَتْ وَالوَرْدُ مَطْلولُ**
**مِنْ كلِّ لَفْظٍ بَلِيغٍ راقَ جَوْهَرَهُ كأنَّهُ السَّيْفُ ماضٍ وَهْوَ مَصْقُولُ**
**لَمْ تُبْقِ ذِكْراً لِذِي نُطْقٍ فَصاحَتُهُ وهلْ تُضيءُ مَعَ الشَّمْسِ القناديل ؟**(٥٤)

كذلك يلقانا البوصيري شديد الإعجاب والانبهار بآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم في أبيات تعرب عن صادق الحب ومخلصه :

**آلَ النبيِّ بِمَنْ أَوْ ما أُشَبِّهُكُمْ لقدْ تَعَذَّرَ تَشْبِيهٌ وتَمثِيلُ**
**يا قَوْمِ بايَعْتُكُمْ أَنْ لا شَبِيهَ لكُمْ مِنَ الوَرَى فاسْتَقِيلوا البَيْعَ أَوْ قِيلُوا**
**وإنَّ مَنْ باعَ في الدُّنيا مَحَبَّتُهُمْ بِبُغْضِهِ اللهَ في الأُخْرَى لَمَرْذُولُ**
**إنَّ المَوَدَّة في قُرْبَى النبيِّ غِنىً لا يَسْتَمِيلُ فُؤادي عنهُ تَمْويلُ** (٥٥)

ونختم حديث اللامية بأبيات مديحه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحسن بلائهم:

**وكَـمْ لأَصْـحَابِهِ الغُـرِّ الكِـرامِ يَـدٌ عِنْـدَ الإلـهِ لهـا فـي الفضـلِ تَخْوِيـلُ**
**قَوْمٌ لهمْ في الوغَى مِنْ خَوْفِ ربِّهِمْ حُسْنُ ابْتِلاَءٍ وفي الطَّاعاتِ تَبْتِيلُ**
**كَـــأَنَّهُمْ فـــي محارِيـــبٍ مَلاَئِكَـــةٌ وفـــي حُـــروبٍ أَعـــادِيهِمْ رَآبِيـــلُ** (٥٦)

وهو في آخر هذه الأبيات يعتمد الطباق بين الصورتين وسيلةً فنيّةً لبيان نبالتهم مع شجاعتهم.

بردة البوصيري الميمية :

ترجع أهمية البوصيري الشهيرة إلى جودتها الفنية، ففيها – مع التلقائية – بكارة الأصل، كما ترجع إلى ذيوعها الذائع بين قصائد المديح النبوي، وإلى أنها حفرت في نفوس الشعراء، وعلقت بأفئدتهم فاحتذوها، وتأثروها، أو تناصوا مع عديد من أبياتها حين صاغوا على غرارها قصائد أخرى معارضة في المديح النبوي، وحين نشأ في إثرها فن يعرف (بالبديعيات)، وحين أوسعها الشعراء تشطيرًا، وتخميسًا، وتسبيعًا.

وقد حظيت بردة البوصيري بمكانة كبرى في العالم الإسلامي، تمثلت في حفظها، بل وقراءتها في الصباح والمساء، حيث كانت تقام لها المجالس في المساجد والمنازل وساحات الاحتفال بالمولد النبوي. وتعددت طبعات البردة في القاهرة، وفي أمكنة عديدة من العالم، وفي دار الكتب المصرية نسخٌ من البردة حُلّيت كتابتها بالذهب، كذلك حظيت بشروح متعددة(٥٧).

ولقد عارض هذه القصيدة عديد من الشعراء من بينهم والد بهاء الدين العاملي مؤلف (الكشكول)(٥٨).

وتربو بردة البوصيري على مئة وسبعين بيتًا.

ولاشك أن البوضيريِّ تأثَّر بميمية ابن الفارض التي يقول في مطلعها :

**هـل نـارُ ليلـى بـدَتْ لـيَلاً بـذي سَـلَمِ أمْ بـــارقٌ لاح فـــي الـــزوراء فـــالعَلَمِ**
**أرْواحَ نَعمـــانَ هَـــلاّ نَسَـــمةٌ سَـــحَراً ومـــاءَ وَجـــرةَ هَـــلاَّ نهْلَـــة بفَـــمِ**(٥٩)

ومطلع قصيدة البوصيري:

**أمِـــنْ تَـــذَكُّرِ جِيـــران بِـــذِي سَـــلَمٍ مَزَجْـتَ دَمْعـاً جَـرَى مِـنْ مُقْلَـةٍ بِـدَمِ**
**أمْ هَبَّـتْ الـريحُ مِـنْ تِلْقـاءِ كاظِمَـةٍ وأوْمَضَ البَرْقُ فِي الظلْماءِ مِنْ إضَمِ**(٦٠)

فقد تأثر البوصيري من ابن الفارض : مكان الحنين : ذا سلم، وهبوب الريح، وكذلك وميض البرق. فضلاً عن وزن ( البسيط )، وقافية الميم المكسورة(٦١).

" يضاف إلى هذا أن ابن الفارض قال :

**يـا لائِمـاً لاَمَنـي فـي حـبّهِمْ سـفَهاً كُـفّ المـلامَ فلـوْ أحبَبْـتَ لـم تَلُـم**

فتابعه البوصيري فقال:

**يـا لائِمِـي فـي الهَـوَى العُـذْرِيِّ مَعْـذِرَةً مِنِّـي إليـكَ ولـو أَنْصَـفْتَ لَـمْ تَلُـمِ**

كما تبع شوقي البوصيري حين قال :

**يـا لائِمِـي فـي هَـواهُ وَالهَـوى قَـدَر لَو شَفَّكَ الوَجْدُ لَم تَعذِل وَلَم تَلُم**(٦٢)"

وفي المطلع الغزلي الوجداني للبردة أيضًا نقف عند البيت الذي يقول فيه البوصيري:

**مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إنَّ المُحِبِّ عَنْ العُذَّالِ فـي صَمَمِ**

لنقرر تأثر البوصيري بقول ابن رزيق البغدادي في مطلع فريدته العينية:

**لا تعذليـــهِ فـــإنّ العـــذلَ يولعُـــهُ قد قُلْتِ حقًّت ولكن ليس يسمعُهُ**(٦٣)

ونقف عند بيت البوصيري :

**فـإنَّ فَضْـلَ رسـولِ الله لـيسَ لـهُ حَـدٌّ فيُعْـرِبَ عنـه نـاطِقٌ بِفَـمِ**

وكذا عند قوله :

**وَكـلُّ آيٍ أتَـى الرُّسْـلُ الكِـرامُ بهـا فإنمـا اتَّصَـلَتْ مِـنْ نُـورِهِ بهِـمِ**

لنتبين « تناص » البارودي مع البيتين كليهما حين قال في ميميته المعارِضة:

**منـازِلٌ لهَواهـا بـيْنَ جـانِحَتي وديعـةٌ سـرُّها لـم يتَّصِـلْ بفمـي**

فقد صاغ البارودي من بيتي البوصيري عبارته الجديدة:

« لم يتصل بفمي »، وأتى شوقي يتناصُّ مع الرائدين كليهما، متأثرًا عبارة البارودي الجديدة، ومُوظفًا إيَّاها في سياق جديد:

**وَنـودِيَ اِقـرَأ تَعـالى اللَـهُ قائِلُهـا لَـم تَتَّصِـل قَبـلَ مَـن قيلَـت لَـه بِفَـمِ**

وإن كان شوقي ليُضيف – مع تميزه – ما يضفي ويفيضُ جوًا من النغم القُدسي الرائع في بيته الذي يتلو البيت السابق، وذلك حيث يقول:

**هُنـاكَ أَذَّنَ لِلرَحمَـنِ فَامتَـلَأَت أَسمـاعُ مَكَّـةَ مِـن قُدسِيَّـةِ النَغَـمِ**

ونقف من البردة عند قول البوصيري مكبرًا آيات القرآن :

**لهـا مَعـانٍ كَمَـوْجِ البَحْـرِ فـي مَـدَدٍ وفَـوْقَ جَـوْهَرِهِ فِـي الحُسْـنِ والقِـيَمِ**

فنستشعر الاستمداد القرآني من قوله تعالى : ﴿ **قل لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾ [الكهف: ٩].

وكذلك عند البيت الذي يقول فيه:

**فمـا تُعَـدُّ وَلا تُحْصـى عَجَائِبُهـا ولا تُسـامُ عَلَـى الإكثـارِ بالسَّـأَمِ**

فنتذكر الحديث الذي سبقت الإشارة إليه ومنه أن القرآن « لا تنقضي عجائبه » وأنه « لا يخلقُ على كثرة الرَّدَّ ». وإن كُنا نراه شغل نفسه بالجناس بين ( تُسامُ ) و(السام) مما جعل في البيت بعض التكلف، خاصة عندما نوازنه ببيت شوقي :

**آياتُـهُ كُلَّمـا طـالَ المَـدى جُـدُدٌ يَزينُهُـنَّ جَـلالُ العِتـقِ وَالقِـدَمِ**

إن اختيار المفردة في بيت شوقي لم يأت لمقتضى بديعي، وإنما لتوظيفها فنيًا في خدمة جلال المعنى. وعند شوقي نرى الكلمات والقوافي – وقد اختزنها الشاعر في ذاكرته – يُعيد استخدامها على نحو جديد، وفي سياق آسرٍ تغشاه التلقائية والروحانية.

تأثره بأبي ذُؤيب :

ويستوقفنا من بردة البوصيري ذلك التشبيه التمثيلي المُؤثر، يعبر عن فكرة (القناعة)، وألَّا يُطلق المرء لنفسه عنان الرَّغْبة، فحاجات النفس لو استجاب لها المرء لا تنتهي. وهو المعنى الذي أجاد التعبير عنه شاعر صدر الإسلام أبو ذيب الهُذلي، فأثر عنه قوله :

**والنَّفْسُ كالطِّفْلُ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُـبِّ الرِّضـاعِ وإنْ تَفْطِمْـهُ يَـنْفَطِمِ**

لنرى كيف تأثر سابقه ثم أعاد المعنى في معادل تصويري قوي.

تأثره بالنابغة :

كذلك نلمح تأثره بالنابغة الذُبياني حيث يقول للنعمان في إحدى اعتذارياته:

**فإنـكَ شـمسٌ ، والملـوكُ كواكـبٌ إذا طلعـتْ لـم يبـدُ مـنهنّ كوكـبُ**

وذلك قوله مكبرًا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأنبياء :

**فإنَّـه شّـمْسُ فَضْـلٍ هُـمْ كَواكِبُهـا يُظْهِـرْنَ أَنْوَارَهـا للنـاسِ فـي الظُّلَـمِ**

ترنيمة الإسراء :

وفي مناجاة رائعة يتوجه البوصيري بمجموعة من الأبيات تفيض بعاطفة الحب والإجلال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مصورًا سمو مكانته بين جميع الأنبياء من خلال أحداث الإسراء والمعراج تمر بنفسه المؤمنة الشاعرة، يقول:

**يـا خيـرَ مـنَ يَمَّـمَ العـافُونَ سـاحَتَهُ سَـــعْياً وفَـــوْقَ الأَيْنُـــقِ الرُّسُـــمِ**
**وَمَـــنْ هُـــوَ الآيَـــةُ الكُبْـــرَى لَمُعْتَبِـــرٍ وَمَـــنْ هُـــوَ النِّعْمَـــةُ العُظْمَـــى لِمُغْتَـــنِمِ**
**سَـــرَيْتَ مِـــنْ حَـــرَمٍ لَـــيْلاً إِلَـــى حَـــرَمٍ كمـا سَـرَى البَـدْرُ فـي داجٍ مِـنَ الظُّلَـمِ**
**وَبِـــتَّ تَرْقَـــى إِلَـــى أَنْ نِلْـــتَ مَنْزِلَـــةً مِـنْ قَـابِ قَوْسَـيْنِ لَـمْ تُـدْرَكْ وَلَـمْ تُـرَمِ**
**وَقَـــدَّمتْكَ جَميـــعُ الأنبيـــاءِ بِهـــا والرُّسْـــلِ تَقْـــدِيمَ مَخْـــدُومٍ عَلَـــى خَـــدَمِ**
**وأَنْـــتَ تَخْتَـــرِقُ السَّـــبْعَ الطِّبَـــاقَ بِهِـــمْ فـي مَوْكِبٍ كُنْتَ فيهِ صاحِبَ العلَمِ** (٦٤)

وفي عزف شعريّ مُتَدَفِّق يُشيدُ البُوصيريُّ ببُطولات النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وبجهاده الباسل في حُنَيْن، وبدر، وأُحد، وغيرها من كبرى الغزوات، مُصَوّرًا شجاعتهم، مترنمًا بمضائهم وقوتهم، وهو يستدعي من ذاكرة

التاريخ أيامهم الغُرَّ مثلاً اعلى من التصدّي للباطل، والجهاد لنصرة الحق، وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء، لقد لخص البوصيري مكمن القوة التي كانوا يعتصمون وينتصرون بها حين ألقى على مسامع معاصريه هذا البيت القوي:

**ومَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ إنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِها تَجِمِ**

صلى الله عليه وسلم.

وتتابع كبار الشعراء ينظمون من بعد البوصيري، بديعياتهم الرائعة في إثر البردة، وعلى رأسهم فيما ذكرنا: ابن جابر الأندلسي، وصفي الدين الحلي، وابن حجة الحموي وغيرهم.

وإذ « مضى الناس في عصر البوصيري وبعد عصره يتغنون بهذه القصيدة الرائعة وأختها الهمزية في حفلات الموالد والأعياد »[٦٥]، فإن علينا أن نذْكر « أنَّ البُرْدَة وأخْتَها الهمزية لم تُكْتَبا ابتداءً لحلقات الذكر، فيما نظن، وليس معنى ذلك أن البوصيري لم يكتب بعض مدائحه النبوية لتلك الحلقات »[٦٦].

" فهناك مدائح بمجرَّد أن نبدأ قراءتها نحسن في وضوح أنها نظمت لتنشد في حلقة ذكر لله من حلقات الصوفية الشاذلية، من ذلك قصيدة رائية، أو قل : أنشودة الصلاة على رسول الله، وهي تجري على هذا النمط:

**يا رب صلِّ على المختار من مُضرٍ والأنبيا وجميع الرُّسل ما ذكروا** "[٦٧]

" ومثلها القصيدة المحمدية، لابتداء كل أبياتها باسمه صلى الله عليه وسلم، وهي تتوالى على هذه الشاكلة :

**محمَّدٌ أشرفُ الأعرابِ والعَجمِ محمَّدٌ خيرُ من يمشي على قدمٍ**
**محَّمدٌ باسُط المعروف جامِعُهُ محَّمدٌ صاحبُ الإحسانِ والكَرمِ**"[٦٨]

والبوصيري بهذا وبغيره يُعدُّ فيما نرى رائد فن المديح النبوي، وسيبدو لنا تأثيره القوي، كما سوف تتبدى أستاذيته لأمير الشعراء شوقي.

## أحمد شوقي وقصائده في المديح النبوي :

ترجع مكانة شوقي في شعرنا العربي الحديث إلى أسلوبه الشعري المتميز، إذ مَكَّنَ بصياغته الفنية البارعة، لقصيدة تقوم على صفاء اللغة وعذوبتها، مع الجمال الصوتي والموسيقى، فضلاً عن روعة الصور وتلقائيتها. ومهما تحدث خصومه عما رأوه من ملامح على شعره، فلقد بقى لنا من أحمد شوقي كل هذا التراث الذي بين أيدينا من شعره الغنائي والمسرحي، يشهد له بأستاذية أمير الشعراء، وبأنه يظل بكل ما خلفه لقراء العربية قمة باذخة في الأدب، وإن كنت لأراه صناجة شعرنا العربي الحديث.

وفي أحمد شوقي (١٨٦٩-١٩٣٢م)[٦٩] رائد جيل النهضة من المدرسة التقليدية في شعرنا العربي الحديث أوثر أن أسجل رأي مصطفى صادق الرافعي في مستهل مقال له بعنوان ( شوقي )، يقول:

« هذا هو الرجل الذي يخيل إليَّ أن مصر اختارته دون أهلها جميعًا لتضع فيه روحها المتكلم، فأوجبت له ما لم توجب لغيره، وأعانته بما لم يتَّفق لسواه، ووهبته من القدرة والتمكين وأسباب الرياسة وخصائصها على قدر أمة تريد أن تكون شاعرة، لا على قدر رجل في نفسه، وبه وحده استطاعت مصر أن تقول للتاريخ : شعري وأدبي ! »[٧٠].

كذلك نشير إلى رأي أستاذنا الدكتور شوقي ضيف من أن شوقي إذ « يجري على عمود الشعر العربي، فقد أوتى من علمه بصياغاته وتآليفه ما لم يؤته شاعر منذ البحتري » وإذ التزم شوقي بالإطار العروضي التقليدي فقد « جدد كثيرًا في معاني الشعر، بل أدخل موضوعات جديدة، ولكنه استطاع أن يقابل بين العلمين، وأن يؤلف بينهما تأليف شاعر صناعٍ، يعرف كيف يحكم أصواته، وكيف يضبط ذبذباتها وتموجاتها ضبطًا دقيقًا، فإذا الجديد لا يجور على الصياغة، بل يندمج فيها، حتى يصبح من الصعب تمييزه »[٧١].

ولشوقي صنَّاجة الشعر العربي الحديث قصائد ثلاث في المديح النبوي،

هي من أروع شعره « الغنائي » وأكثره سيرورة بين جمهور المتلقين: أولاها: الهمزية النبوية، والثانية: البائية التي عَنْونها « بذكرى المَوْلِد »، وثالثتها: هي الميمية المُعارضة لبردة البوصيري، والتي أسماها « نهج البردة ».

الهمزية النبوية :

تربو هذه القصيدة على مئة وخمسة عشر بيتًا، ومطلعها :

**وُلِـدَ الـهُـدى فَـالكائِناتُ ضِـياءُ وَفَـمُ الزَمـانِ تَبَسُّـمٌ وَثَنَـاءُ**(٧٢)

وفي الهمزية النبوية تلقانا فكرة سبق علم الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم في تعبير فني جديد، فهو تحية المرسلين إلى الوُجود، وحيث بشّر به خالق السماوات العلا، فقد اتخذت زخرفها وازينت، كما تأرجت الأرض بعبق المسك الزكي:

**يـا خَيـرَ مَـن جـاءَ الوُجـودَ تَحِيَّـةً مِـن مُرسَلينَ إِلـى الهُدى بِكَ جاؤوا**
**بِـكَ بَشَّـرَ الـلَـهُ السَـماءَ فَزُيِّنَـت وَتَضَوَّعَـت مِـسكاً بِـكَ الغَبـراءُ**(٧٣)

وشأن سابقيه من أصحاب قصائد المديح النبوي من الشعراء الكبار يحيّي أحمد شوقي يوم ميلاد المصطفى:

**يَـومٌ يَتـيهُ عَلـى الزَمـانِ صَباحُهُ وَمَسـاؤُهُ بِمُحَمَّـدٍ وَضّـاءُ**(٧٤)

ويشير إلى القرآن والوحي :

**وَالآيُ تَتـرى وَالخَـوارِقُ جَمَّـةٌ جِـبريـلُ رَوّاحٌ بِهـا غَـدّاءُ**(٧٥)

كذلك يقف الشاعر الرقيق عند تكريم اليتيم في شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم :

**نِعـمَ اليَـتيمُ بَـدَت مَخايِـلُ فَضـلِهِ وَاليُتـمُ رِزقٌ بَعـضُهُ وَذَكـاءُ**(٧٦)

ونرى شوقي في « نهج البُردة » يقرِنُ اليُتم – مع التكريم – بالتفرُّد والتميز:

**ذُكـرتَ بـاليُتمِ فـي القـرآنِ تكرمـةٌ وقيمةٌ اللُّؤلؤِ المكنونِ فـي اليُتُمِ**(٧٧)

المدلول الخُلُقي :

وإذ رأى شـوقي دائمًـا، وفـي مواضـع متعـددة مـن شـعره، أن بنـاء الـدول

والشعوب يجب أن يقوم على الخلق، وأثر عنه « وإنما الأممُ الأخلاقُ »، فقد بهرته أخلاق الرسول الكريم. وقد استوحى مقالة الرجل الذي وفد على محمد صلى الله عليه وسلم، واستمع إليه، فلما عاد إلى قومه قال: « إن الذي يدعو إليه محمد لو لم يكن دينًا لكان في أخلاق الناس حسنًا »، وكأنما أراد أن يفسر جوانب هذه الشخصية الخلقية، حين سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلقه الشريف، فقالت « كان خُلُقُهُ القرآن »، فراح شوقي يترنم جملةٌ بأخلاق محمد :

**يا مَن لَهُ الأَخلاقُ ما تَهوى العُلا" مِنها وَما يَتَعَشَّقُ الكُبَراءُ**
**لَو لَم تُقِم دينًا لَقامَت وَحدَه" دينًا تُضيءُ بِنورِهِ الآناءُ**
**زانَتكَ في الخُلُقِ العَظيمِ شَمائِلٌ يُغرى بِهِنَّ وَيولَعُ الكُرَماءُ**[٧٨]

وأمَّا تفصيل هذه الأخلاق الكريمة، في جوانبها المتعددة المتنوعة فقد انقسمت في فروعها الباسقة إلى أربعة عشر بيتًا يصور كلٌ منها فرعًا من المثل العليا في السلوك النبيل، والعاطفة المرهفة في العديد من مواقف الحياة وأحداثها، نذكر منها:

**فَإِذا سَخَوتَ بَلَغتَ بِالجودِ المَدى وَفَعَلتَ ما لا تَفعَلُ الأَنواءُ**
**وَإِذا عَفَوتَ فَقادِرًا وَمُقَدَّرًا لا يَستَهينُ بِعَفوِكَ الجُهَلاءُ**
**وَإِذا رَحِمتَ فَأَنتَ أُمٌّ أَو أَبٌ هَذانِ في الدُنيا هُما الرُحَماءُ**
**وَإِذا غَضِبتَ فَإِنَّما هِيَ غَضبَةٌ في الحَقِّ لا ضِغنٌ وَلا بَغضاءُ**
**وَإِذا خَطَبتَ فَلِلمَنابِرِ هِزَّةٌ تَعرو النَدِيَّ وَلِلقُلوبِ بُكاءُ**
**وَإِذا أَخَذتَ العَهدَ أَو أَعطَيتَهُ فَجَميعُ عَهدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفاءُ**[٧٩]

ولاشك أن وراء هذه الأبيات موروثًا تراثيًا من القرآن والحديث النبوي والمأثور مما حث على المثل العليا والأخلاق الرفيعة مما صدر عنه شوقي في هذه المعزوفة النبوية، وما عبر عنه من فضائل وقيم، أضاف إليها دفقات من شاعريته:

ويشد شوقي إلى قصيدة المديح النبوي وترًا جديدًا يتحدث فيه عن عقيدة

التوحيد التي يراها حقيقة لاءمت فكر الإنسان حين نادى بها المفكرون القُدماء، وحين سار في نورها قدماء المصريين، إذ عرفوا الإله الواحد، كذلك يشير الشاعر إلى مبدأ المساواة، وما حققه الإسلام على يد نبيه من إرساء مبادئ الشورى، وغيرها:

**بِكَ يا ابنَ عَبدِ اللهِ قامَت سَمحَةٌ ... بِالحَقِّ مِن مِلَلِ الهُدى غَرّاءُ**
**بُنِيَت عَلى التَوحيدِ وَهيَ حَقيقَةٌ ... نادى بِها سُقراطُ وَالقُدَماءُ**
**وَمَشى عَلى وَجهِ الزَمانِ بِنورِها ... كُهّانُ وادي النيلِ وَالعُرَفاءُ**
**فَرَسَمتَ بَعدَكَ لِلعِبادِ حُكومَةً ... لا سوقَةٌ فيها وَلا أُمَراءُ**
**اللهُ فَوقَ الخَلقِ فيها وَحدَهُ ... وَالناسُ تَحتَ لِوائِها أَكفاءُ**
**وَالدينُ يُسرٌ وَالخِلافَةُ بَيعَةٌ ... وَالأَمرُ شورى وَالحُقوقُ قَضاءُ** (٨٠)

**أصداء العصر :**

وحيث تعالت مع مطلع القرن العشرين دعاوى المفكرين الاجتماعية تنادي بالعدالة الاجتماعية، وتدبج الكتب والمقالات عن الاشتراكية وحقوق الإنسان، واشتدت نذر الحرب تهدد بالدمار، في صراع الدول الكبرى على النفوذ، فلقد أثبت شوقي في همزيته فضل محمد وما دعا إليه من مبادئ سامية تفوق ما يعرض له المفكرون من النظريات موضحًا غاية مقصده في الجهاد، وتحقيق قيم الحق والتكافل والبر:

**الإشتِراكِيّونَ أَنتَ إِمامُهُمْ ... لَولا دَعاوي القَومِ وَالغُلَواءُ**
**الحَربُ في حَقٍّ لَدَيكَ شَريعَةٌ ... وَمِنَ السُمومِ الناقِعاتِ دَواءُ**
**وَالبِرُّ عِندَكَ ذِمَّةٌ وَفَريضَةٌ ... لا مِنَّةٌ مَمنونَةٌ وَجَباءُ**
**جاءَت فَوَحَّدَتِ الزَكاةُ سَبيلَهُ ... حَتّى التَقى الكُرَماءُ وَالبُخَلاءُ**
**أَنصَفَت أَهلَ الفَقرِ مِن أَهلِ الغِنى ... فَالكُلُّ في حَقِّ الحَياةِ سَواءُ**
**فَلَوَ اَنَّ إِنسانًا تَخَيَّرَ مِلَّةً ... ما اختارَ إِلّا دينَكَ الفُقَراءُ**(٨١)

حادثة الإسراء :

وتجذب حادثة الإسراء والمعراج شعراء المديح فتصبح بما تشعُ من روحانيات جزءًا من قصيدة المديح النبوي، غير أن شوقي – وإن احتذى أو

تأثر سابقيه – يطل علينا بما يلائم عصره ومكانته الشعرية :

**يأَيُّهـا المُسـرى بِـهِ شَـرَفًا إِلـى" مـا لا تَنـالُ الشَـمسُ وَالجَـوزاءُ**
**تَغشـى الغُيـوبَ مِـنَ العَـوالِمِ كُلَّمـا طُوِيَـت سَـماءٌ قُلِّـدَتكَ سَـماءُ**
**اللهُ هَيَّـأَ مِـن حَظيـرَةِ قُدسِـهِ نَـزُلًا لِـذاتِكَ لَـم يَجُـزهُ عَـلاءُ**[٨٢]

ههنا نتذكر بيت البوصيري :

**تَتَبَـاهَى بِـكَ الْعُصُورُوَتَسْـمُو بِـكَ عَلْيَـاءُ بَعْـدَهَا عَلْيَـاءُ**

فروسية « أحمد » :

ويختار الاسم الذي يشرك فيه الرسول الكريم، ليدير حوله الحديث عن مثالية النبي: الفارس النبيل، وخصاله النبوية الرفيعة، وفي حس إنساني تغشاه شعرية الأسلوب والتصوير:

**الخَيـلُ تَـأبى غَيـرَ أَحمَـدَ حامِيًـا وَبِهـا إِذا ذُكِـرَ اسـمُهُ خُـيَلاءُ**
**شَـيخُ الفَـوارِسِ يَعلَمـونَ مَكانَـهُ إِن هَيَّجَـت آسـادَها الهَيجـاءُ**
**ساقي الجَريحِ وَمُطعِمُ الأَسرى وَمَن أَمِنَـت سَـنابِكَ خَيلِـهِ الأَشـلاءُ**
**إِنَّ الشَـجاعَةَ فـي الرِجـالِ غَلاظَـةٌ مـا لَـم تَزِنهـا رَأفَـةٌ وَسَـخاءُ**[٨٣]

ولا تزال تتوهج عاطفة الحُب النبوي لدى الشاعر، وتتنامى مع مشاعر الإعجاب والبهر بنبي الأمة مشاعر الخوف والإشفاق على قومه من أبنائها، فنراه يلوذ به ويعتصم وقت المحنة :

**لـي فـي مَديحِكَ يـا رَسـولُ عَـرائِسٌ تُـيِّمنَ فيـكَ وَشـاقَهُنَّ جَـلاءُ**
**هُـنَّ الحِسـانُ فَـإِن قَبِلـتَ تَكَرُّمًـا فَمُهـورُهُنَّ شَـفاعَةٌ حَسـناءُ**
**أَنـتَ الَّـذي نَظَـمَ البَرِيَّـةَ دينُـهُ مـاذا يَقـولُ وَيَـنظُمُ الشُـعَراءُ ؟**
**مـا جِئـتُ بابَـكَ مادِحًـا بَـل داعِيًـا وَمِـنَ المَـديحِ تَضَـرُّعٌ وَدُعـاءُ**
**أَدعوكَ عَن قَومي الضِعافِ لِأَزمَـةٍ فـي مِثلِهـا يُلقـى عَلَيـكَ رَجـاءُ** [٨٤]

صلى الله عليه وسلم.

البائية النبوية : ( ذكرى المولد ) :

وتربو القصيدة على سبعين بيتًا، وهي معزوفة تفيض عاطفة وروحانية،

ينبعان بحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وما أرسى من قيم خالدة في العالمين، كذلك تتفجر أبيات القصيدة بروح الإيمان الصادق، وعدم الركون إلى متاع الدنيا والغرور بها، وتغشى القصيدة أبيات خالدة في الحكمة تشرق فيها عبقرية التركيب في البيت الشعري أسلوبًا وابتكارًا في العبارة، وعذوبة في الموسيقا، وهي خصائص شوقي التي تغشى أبياته:

**أَخا الدُنيا أَرى دُنياكَ أَفعى تُبَدِّلُ كُلَّ آونَةٍ إِهابا**
**وَمِن عَجَبٍ تُشَيِّبُ عاشِقيها وَتُفنيهِمْ وَما بَرِحَتْ كَعابا**
**فَمَن يَغتَرُّ بِالدُنيا فَإِنّي لَبِستُ بِها فَأَبلَيتُ الثِيابا**
**لَها ضَحِكُ القِيانِ إِلى غَبِيٍّ وَلي ضَحِكُ اللَبيبِ إِذا تَغابى**
**جَنَيتُ بِرَوضِها وَردًا وَشَوكًا وَذُقتُ بِكَأسِها شَهدًا وَصابا**
**فَلَم أَرَ غَيرَ حُكمِ اللهِ حُكمًا وَلَم أَرَ دونَ بابِ اللَهِ بابا**(٨٥)

ومر بنا في شعر المتنبي أنه لا يثق في الدنيا، ولا يركن إليها، من مثل قول أبي الطيب:

**ومن عرف الأيَّام معرفتي بها وبالنَّاس روّي رُمحه غير راحمٍ**(٨٦)

ولكن تعبير شوقي عن رفض الغرور بالدنيا يأتينا أجمل عبارة وأصفى صوتًا وأعذب نغمًا، وأكثر جدة في الصورة المعادلة:

**فَمَن يَغتَرُّ بِالدُنيا فَإِنّي لَبِستُ بِها فَأَبلَيتُ الثِيابا**

وأما الاستطراد في الصورة، وأما « المقابلة » الجيدة، فمما تنفرد به عبقرية شوقي، مع خفة الروح :

**لَها ضَحِكُ القِيانِ إِلى غَبِيٍّ وَلي ضَحِكُ اللَبيبِ إِذا تَغابى**

وإن « المعادل التصويري » الذي يقوم على « التضاد » لهو أبلغ في التعبير البديع:

**جَنَيتُ بِرَوضِها وَردًا وَشَوكًا وَذُقتُ بِكَأسِها شَهدًا وَصابا**

وأما ختام هذه الأبيات تلقائيًا بالحكمة في أسلوب نادر العذوبة، صادق

اليقين، غير مسبوق في الجمال الصوتي، فهو هذا البيت الأثير في ذاكرة العربي المعاصر:

**فَلَـــم أَرَ غَيـــرَ حُكـــمِ اللهِ حُكمًـــا وَلَـــم أَرَ دونَ بـــابِ اللَـــهِ بابـــا**

ولا شك أن شعرية الطابع الحكمي تنبع عن إيمان صادق، وخبرة بالحياة، وثقافة متميزة، كُل أولئك حدا بأمير الشعراء إلى أن يصوغ الحكمة موسيقا صوتية وروحية لها كبير التأثير على المتلقين، كما أن لها بقاء الفن الجميل في وجدان الشعب العربي على مر السنين :

**وَأَنَّ البِـــرَّ خَيـــرٌ فـــي حَيـــاةٍ وَأَبقـــى بَعـــدَ صـــاحِبِهِ ثَوابـــا**
**نَبِـــيُّ البِـــرِّ بَيَّنَـــهُ سَـــبيلاً وَسَـــنَّ خِلالَـــهُ وَهَـــدى الشِـــعابا**
**وَكـــانَ بَيانُـــهُ لِلهَـــدي سُـــبلاً وَكانَـــت خَيلُـــهُ لِلحَـــقِّ غابـــا**
**وَعَلَّمَنـــا بِنـــاءَ المَجـــدِ حَتّـــى أَخَـــذنا إِمـــرَةَ الأَرضِ اغتِصـــابا**
**وَمـــا نَيـــلُ المَطالِـــبِ بِـــالتَمَنّي وَلَكِـــن تُؤخَـــذُ الـــدُنيا غِلابـــا**
**وَمـــا استَعصـــى عَلـــى قَـــومٍ مَنـــالٌ إِذا الإِقـــدامُ كـــانَ لَهُـــمْ رِكابـــا**(٨٧)

لقد مكن شوقي بشاعريته المتفردة لقيم أسلوبية لها طابع الجدة والعذوبة والتأثير، كما أحل لغة سهلة، مع إحساس دقيق بالمفردة، وأثرها في عبقرية التركيب، ومع استمداد من التراث في أروع صوره تمثلاً واحتذاءً، وإعادة صياغة، بحيث أصبح بجميع خصائصه الفنية: الأسلوبية والصوتية والموسيقية « صناجة القصيدة التقليدية الحديثة »، فحق له بكل ذلك، وبغيره من عمق الثقافة، وجمال التصوير إمارة الشعر العربي عبر كل عصوره، إن من أعذب المناجاة الروحية يترنم بها المؤمن حبًا وقربًا وهو يلوذ بحمى المصطفى الكريم، وقد تضاعف الهم، واشتدت رياح العداوة والحنق، لهي أبيات أحمد شوقي :

**أَبـــا الزَهـــراءِ قَـــد جـــاوَزتُ قَـــدري بِمَـــدحِكَ بَيـــدَ أَنَّ لِـــيَ انتِســـابا**
**فَمـــا عَـــرَفَ البَلاغَـــةَ ذو بَيـــانٍ إِذا لَـــم يَتَّخِـــذكَ لَـــهُ كِتابـــا**
**مَـــدَحتُ المـــالِكينَ فَـــزِدتُ قَـــدرًا فَحـــينَ مَـــدَحتُكَ اقتَـــدتُ السَـــحابا**
**سَـــأَلتُ اللهَ فـــي أَبنـــاءِ دينـــي فَـــإِن تَكُـــنِ الوَســـيلَةَ لـــي أَجابـــا**

**وَمـــا لِلمُســـلِمينَ سِـــواكَ حِصـــنٌ إذا مـــا الضَـــرُّ مَسَّـــهُمُ وَنابـــا**(٨٨)

القصيدة الميمية « نهج البردة » :

بلغت هذه القصيدة مئة وتسعين بيتًا، وهي في وزن البسيط، وتتميز – مع قوة السبك ورصانة البناء – بأنها تمثل كسابقتيها مقومات فنه الشعري وما يرتفع به شوقي على الشعراء من صفاء الجمل وعبقرية التأثر والاحتذاء، فحيث قال ابن الفارض:

**يـا لائِمـاً لاَمَنـي فـي حـبّهِمْ سـفَهاً كُفّ المـلامَ فلـوْ أحبَبْتَ لـم تَلُم** (٨٩)

وحيث تابعه البوصيري في بردته بقوله :

**يـا لائِمِي فـي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً مِنِّـي إليـكَ ولـو أَنْصَفْتَ لَـمْ تَلُـمِ**(٩٠)

فإن بيت شوقي يتناص مع سابقيه يأتينا على نحو فني خاص يعكس خصوصية أسلوب شوقي ومعجمه :

**يـا لائِمِـي فـي هَـواهُ – وَالهَـوى قَـدَرٌ – لَـو شَـفَّكَ الوَجـدُ لَـم تَعـذِل وَلَـم تَلُـم**(٩١)

فنحن نقف عند عبارة شوقي : « والهوى قدرٌ »، لنتذكر أبياتًا أخرى غزلية يقول فيها:

**لـك أن تلـومَ ولـي مـن الأعـذارِ أنَّ الهـوى قـدرٌ مـن الأقـدارِ**
**مـا كنـت أسـلمُ للعيـون سـلامتي وأبـيحُ حادِثـةَ الغـرام وقـارى**(٩٢)

فشوقي يقول لنا في غزليته: « أن الهوى قدرٌ من الأقدار » ولهذا نشعر في بيت « نهج البردة » الغزلي أيضًا بخصوصية معجم شوقي ورؤيته، حين قال: « والهوى قدرٌ)، ولأن « من ذاق » ليس « كمن عرف »، فهو يأتينا بمعنى عميق يعكس الحكمة مع صدق التجربة في الشطر الثاني بحيث يفوق سابقيه :

**« لَو شَفَّكَ الوَجدُ لَم تَعذِل وَلَم تَلُم ».**

بل نرى هذا البيت يعكس بالمقياس الفني والشعوري روح شوقي وشخصيته، وخصوصية معجمه وأسلوبه في صدق وتميز وجمال.

اتهام النفس :

ويتأثر شوقي من البوصيري تواضُعًا، كما يتأثَّرُ اتّهام النَّفْسِ، فذُنوبهُ أيضًا قد تضاعفت وفاضت بها صحيفته، وهو الضعف البشري يستجيب لدواعي الهيام واللذات، وإن كان صلاحها في التمسك بالأخلاق، ومتابعتها بالتقويم :

**يـــا وَيلَتـــاهُ لِنَفســـي راعَهـــا وَدَهـــا مُســوَدَّةُ الصُحـفِ فـي مُبيَضَّـةِ اللَمَـمِ**
**رَكَضـتُها فـي مَريـعِ المَعصِـياتِ وَمـا أَخَـذتُ مِـن حِميَـةِ الطاعـاتِ لِلتُخَـمِ**
**هامَـت عَلـى أَثَـرِ اللَـذّاتِ تَطلُبُهـا وَالـنَفسُ إِن يَدعُهـا داعـي الصِبـا تَهِـمِ**
**صَـلاحُ أَمـرِكَ لِلأَخـلاقِ مَرجِعُـهُ فَقَـوِّمِ النَفـسَ بِالأَخـلاقِ تَستَقِـمِ**
**وَالـنَفسُ مِـن خَيرِهـا فـي خَيـرِ عافِيَـةٍ وَالـنَفسُ مِـن شَرِّها فـي مَرتَـعٍ وَخِـمِ**(٩٣)

وهو ذا شوقي الذي تعدَّدَتْ عنده مواقف الحديث عن « الأخلاق » يراها دائمًا مقوم بناء الأمم والشعوب والأفراد، وذلك – كما أشرنا – في أكثر من موضع من شعره، فهو تارةً يقول لنا :

**وَإِنَّمـا الأُمَـمُ الأَخـلاقُ مـا بَقِيَـت فَإِن تَوَلَّت مَضَوا فـي إِثرِها قُدُما**(٩٤)

وتارة أخرى يراها مقوم بناء الأقوام والشعوب :

**ولـــيس بعـــامرٍ بُنيـــانُ قـــومٍ إذا أخلاقهـــمْ كانـــت خرابـــا**(٩٥)

وهو في « نهج البُردة » مُخاطبًا نفسه يرى الأخلاق مرجع نجاح المرء وصلاحه:

**صَـلاحُ أَمـرِكَ لِلأَخـلاقِ مَرجِعُـهُ فَقَـوِّمِ النَفـسَ بِالأَخـلاقِ تَستَقِـمِ**

وأحسب أن بيت شوقي عن النفس :

**وَالنَفسُ مِن خَيرِها فـي خَيرِ عافِيَـةٍ وَالـنَفسُ مِـن شَرِّها فـي مَرتَـعٍ وَخِـمِ**

إنما يُجملُ معنى بيتي البوصيري :

**والـنَّفْسُ إنْ تُهْمِلْـهُ شَـبَّ عَلَـى حُـبِّ الرِّضـاعِ وإنْ تَفْطِمْـهُ يَـنْفَطِمِ**
**فاصْـرِفْ هَواهـا ، وَحـاذِرْ أنْ تُوَلِّيـهُ إنَّ الهَـوَى مـا تَـوَلَّى يُصْـمِ أَوْ يَصِـمِ**(٩٦)

أمير الأنبياء :

وحيث ينعت البوصيري محمدًا صلى الله عليه وسلم « بسيد الكونين

والثقلين »، فإن شوقي يراه « أمير الأنبياء »، يقول من أبيات المديح النبوي :

**لَزِمتُ بابَ أَميرِ الأَنبِياءِ وَمَن يُمسِك بِمِفتاحِ بابِ اللَهِ يَغتَنِمِ**
**مُحَمَّدٌ صَفوَةُ الباري وَرَحمَتُهُ وَبُغيَةُ اللَهِ مِن خَلقٍ وَمِن نَسَمِ**
**وَصاحِبُ الحَوضِ يَومَ الرُسلِ سائِلَةٌ مَتى الوُرودُ وَجِبريلُ الأَمينُ ظَمي**
**سَناؤُهُ وَسَناهُ الشَمسُ طالِعَةً فَالجِرمُ في فَلَكٍ وَالضَوءُ في عَلَمِ**(٩٧)

هاهنا نلمح شوقي في آخر الأبيات يتناص مع البوصيري حيث يقول في همزيته:

**لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُلاَكَ وَقَدْحَا لَ سَنىّ مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ**

فقد استعار شوقي مفردتي : ( السَّناء ) و( السَّنا ) من مُعجمَ البوصيري في المديح النبوي.

كذلك يُجملُ شوقي خبر اعتراف ( بحيرا ) الرَّاهب بنبوة مُحمد :

**لَمّا رَآهُ ( بَحيرا ) قالَ نَعرِفُهُ بِما حَفِظنا مِنَ الأَسماءِ وَالسِيَمِ**

حيث فصلها البارودي في ميميته « كشف الغمة في مدح سيد الأمة » :

**وقال عنه ( بَحِيرا ) حين أبصرهُ بأرضِ بصرى مقالاً غير مُتَّهِمِ**
**بأنه خاتمُ الرُسلِ الكرامِ ومنْ بِهِ تَزُوْلُ صروفُ البُؤْسِ والنَقَمِ**(٩٨)

وقد لاحظنا أن شوقي تأثر البوصيري والبارودي في بعض الصيغ والعبارات، ولكنه أتى بها في سياق متفرد على نحو جديد، وفي مقامٍ روحي بلغ بها الغاية من التميز والعذوبة:

**وَنودِيَ اِقرَأ تَعالى اللَهُ قائِلُها لَم تَتَّصِل قَبلَ مَن قيلَت لَه بِفَمِ**
**هُناكَ أَذَّنَ لِلرَحمَنِ فَامتَلَأَت أَسماعُ مَكَّةَ مِن قُدسِيَّةِ النَغَمِ**(٩٩)

ويتناص شوقي مع البوصيري، بلْه يحتذيه، وبتأثره في صيغه، ومفرداته، كذا في حديثه عن معجزة القرآن الخالدة، وأنه تزداد آياته جدة وحياة تزينهما العراقة والقدم:

**فاقَ البُدورَ وَفاقَ الأَنبِياءَ فَكَم بِالخُلقِ وَالخَلقِ مِن حُسنٍ وَمِن عِظَمِ**
**جاءَ النبيّونَ بِالآياتِ فَانصَرَمَت وَجِئتَنا بِحَكيمٍ غَيرِ مُنصَرِمِ**
**آياتُهُ كُلَّما طالَ المَدى جُدُدٌ يَزينُهُنَّ جَلالُ العِتقِ وَالقِدَمِ**(١٠٠)

وإن كُنتُ لأحتفظ للبوصيري هذه المرة بفضل السبق والفوق، وتلقائية التدفق الشعري، وروعة الصورة في الأصل، وهو النص المحتذى، حيث يقول:

**فاقَ النَّبِيِّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ... وَلَمْ يُدانُوهُ في عِلْمٍ وَلا كَرَمِ**
**وَكلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ ... غَرْفاً مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ**(١٠١)

كذلك يتفوق البوصيري حيث يقول عن آيات القرآن :

**آياتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثَةٌ ... قَدِيمَةٌ صِفَةُ المَوصوفِ بالقِدَمِ**
**لَمْ تَقْتَرِنْ بِزمانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنا ... عَنِ المعادِ وعَنْ عادٍ وعَنْ إرَمِ**
**دامَتْ لَدَيْنا فَفاقَتْ كلَّ مُعْجِزَةٍ ... مِنَ النَّبِيِّينَ إذْ جاءَتْ ولَمْ تَدُمِ**
**لها مَعانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ في مَدَدٍ ... وفَوْقَ جَوْهَرِهِ في الحُسْنِ والقِيَمِ**
**قَرَّتْ بها عَيْنُ قارِيها فَقُلْتُ لهُ ... لقد ظَفِرتَ بِحَبْلِ اللهِ فاعْتَصِمِ**(١٠٢)

حادثة الإسراء :

ولقد مرت بنا أبيات البوصيري في البردة، واضحة التكريم والإجلال والإكبار لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها :

**سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إلَى حَرَمٍ ... كما سَرَى البَدْرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ**
**وَبِتَّ تَرْقَى إلَى أنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً ... مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ**
**وَقَدَّمتْكَ جَميعُ الأنبياءِ بِها ... والرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ**
**وأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بهِمْ ... في مَوْكِبٍ كُنْتَ فيهِ صاحِبَ العَلَمِ**(١٠٣)

أما التدفق التلقائي لعاطفة قوية، وأما الخروج من موقف المعارضة الشعرية إلى الإبداع الفني الذي يعبر عن صاحبه في شعرية التصوير، وشعرية اختيار الألفاظ، وبناء الجمل القوية، وشعرية النغم الأثير والموسيقا الآسرة، مع جلال المعنى تعبر بصدق وإيمان عن جلال الموقف السماوي، وتعكس في جلاء عاطفة الحب النبوي، أما كل أولئك فيلقانا من شوقي إعلاءً وإكبارًا لسيد الرسل والأنبياء وهو يصور الإسراء على نحو لم يسبق إليه، يقول:

**أَسرى بِكَ اللَهُ لَيلاً إِذ مَلائِكُهُ ... وَالرُسلُ في المَسجِدِ الأَقصى عَلى قَدَمِ**
**لَمّا خَطَرتَ بِهِ اِلتَفّوا بِسَيِّدِهِم ... كَالشُهبِ بِالبَدرِ أَو كَالجُندِ بِالعَلَمِ**
**صَلّى وَراءَكَ مِنهُم كُلُّ ذي خَطَرٍ ... وَمَن يَفُز بِحَبيبِ اللَهِ يَأتَمِمِ**

**جُبتَ السَماواتِ أَو ما فَوقَهُنَّ بِهِم عَلى مُنَوَّرَةٍ دُرِّيَّةِ اللُجُمِ**
**حَتّى بَلَغتَ سَماءً لا يُطارُ لَها عَلى جَناحٍ وَلا يُسعى عَلى قَدَمِ**
**وَقيلَ كُلُّ نَبِيٍّ عِندَ رُتبَتِهِ وَيا مُحَمَّدُ هَذا العَرشُ فَاستَلِمِ**(١٠٤)

إن هذه الأبيات بكل ما ضمنت من جمال معنوي روحي، ومن تصوير رفيع غير مسبوق، ومن أسلوب واضح الجدة، تحْدث بالمتلقي لذةً روحيةً، ونشوةً وجدانيةً، تذوب معها النفس إعجابًا، وينبهر العقل إجلالاً.

التأدب مع أستاذ المادحين :

يتوجه أحمد شوقي بالنداء إلى « أحمد » النبي، يعلن عن الشرف الذي أدركه حين سمي باسم الرسول رفعة وسموًا، كذلك يعلن مكانة البوصيري وأستاذيته أمام رسول الله – وقد ناجاه – في تواضع مجلّ، وأدب جمّ، واعتراف بفائق قدرته، وجمال بردته:

**يا أَحمَدَ الخَيرِ لي جاهٌ بِتَسمِيَتي وَكَيفَ لا يَتَسامى بِالرَسولِ سَمي**
**المادِحونَ وَأَربابُ الهَوى تَبَعٌ لِصاحِبِ البُردَةِ الفَيحاءِ ذي القَدَمِ**
**اللَهُ يَشهَدُ أَنّي لا أُعارِضُهُ من ذا يُعارِضُ صَوبَ العارِضِ العَرِمِ**(١٠٥)

ولأن شأن الأعمال الأدبية التأثير والتأثر، والاستعارات المتبادلة، فقد كان من الطبيعي أن تلقانا في « نهج البردة » بعض العبارات والقوافي التي تأثرها من البارودي في كشف الغمة، فحيث يقول البارودي :

**فما على الدَّهرِ لو رقَّت شمائلُهُ فعادَ بالوصل أو ألقى يد السَّلَمِ**(١٠٦)

فإن شوقي يستعير لقافيته عبارة البارودي حيث يقول :

**دارُ الشرائع روما كُلَّما ذِكرتْ دارُ السَّلامِ لها أَلْقَتْ يَدَ السَّلمِ**(١٠٧)

مضيفًا الجناس ما بين ( السلام )، و( السَّلم ) : بمعنى الخضوع والانقياد :

وتلقانا في أواخر « نهج البردة » أبياتٌ تجمع بين التوجُّه إلى الله – تعالى – بالدُعاء، وبين ذكر ما اتسم به النبي صلى الله عليه وسلم من صفات الورع، والإخلاص في العبادة، ورضا النفس، ويختمها بالدعاء لآل بيته الكرام :

**ياربّ صلّ وسلَّم ما أردت على نزيل عرشكَ خير الرُسْلِ كُلُّهِمِ**

**مُحيـــي الليـــالي صـــلاةٌ لا يُقطّعُهـــا إلاَّ بـــدمعِ مـــن الإشـــفاقِ مُنســـجِمِ**
**مُســـبِّحًا لـــكَ جُـــنحَ اللَّيـــل، مُحـــتملاً ضُـرًا مـن السُّـهد، أو ضُـرًا مـن الـورمِ**
**رضـــيةٌ نفسُـــه لا تشـــتكي ســـأمًا وما مـع الحُـبَّ إن أخلصـت مـن سـأمِ**
**وصَـــلِّ ربِّ علـــى آلٍ لـــهُ نُخَـــبٍ جَعَلْـتَ فـيهمْ لـواءَ البيـتِ والحَـرمِ**
**بِـيْضِ الوُجـوُهِ، ووَجـهُ الـدَّهر ذو حَلـكٍ شُمِّ الأنُوفِ، وأنفُ الحادثاتِ حمـيِ**[١٠٨]

وفي آخر الأبيات لا يخفى جمال التقسيم.

إن قيمًا من الصفاء اللغوي في البيت الشعري، ومن العذوبة في الأسلوب، والجمال في الموسيقى، تغشى صنعة شوقي في معزوفته « نهج البردة »، يضاف إلى ذلك عبقرية الاحتذاء، وروعة الاستمداد من التراث الفني السابق على قصيدته، وإنَّ لذَّةً فنّيةً رفيعةً تُدْرِكُ قارئه إعجابًا واقترابًا.

رحم الله شوقي لقد ضاعف لذتنا الروحية بقصائده الأثيرة حبًا وقربًا وإجلالاً لنبي الأمة صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم.

**الهوامش :**

(١) انظر: د. محمود علي مكي، المدائح النبوية، ط. الأولى، القاهرة ١٩٩٢م، ص١٠١.
(٢) " وكان فقيهًا مالكيًا وشاعرًا ولد بتوزر ( في تونس ) وأخذ عن علماء القيروان، ثم رحل إلى مصر، وخاض هناك معركة ضد الفرنج، وعاد إلى توزر، حيث اشتغل بالتدريس والإفتاء إلى أن توفى سنة ٤٦٦هـ "، د. مكي، المدائح النبوية، ص١٠١.
(٣) المرجع نفسه.
(٤) المرجع السابق، ص١٠١-١٠٢.
(٥) المرجع السابق، ص١٠٣.
(٦) المرجع نفسه.
(٧) المرجع السابق، ص١٠٥.
(٨) د. شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، الشام، ط. الثانية، القاهرة ١٩٩٠م، ص٢٧٧.
(٩) المرجع نفسه، وانظر د. مكي، المدائح النبوية، ص١٠٦.
(١٠) د. مكي: المدائح النبوية، ص١٠٦.
(١١) المرجع السابق، ص١٠٦-١٠٧.
(١٢) الشوقيات ١٩٩/١-٢٠٠.
(١٣) انظر في البوصيري: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ط. الثانية، القاهرة ١٩٧٧م، ٨١/٥-١٠٤؛ ومقدمة ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط. الثانية، البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٣م، ص٥-٤٧؛ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، مصر، ط. الثانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٠م، ص٣٦١-٣٦٥؛ د. محمود علي مكي، المدائح النبوية، ص١٠٧-١١٩.
(١٤) د. محمود علي مكي، المدائح النبوية، ص١٠٩.
(١٥) د. شوقي ضيف: من المشرق والمغرب بحوث في الأدب، مقالة: مشاركة الصوفية في الجهاد ونشر الإسلام، ط. الأولى، القاهرة ١٩٩٨م، ص٧٣.
(١٦) ديوان البوصيري، ص٤٩-٥٠.
(١٧) الديوان، ص٥٠.
(١٨) المصدر نفسه.
(١٩) المصدر نفسه.
(٢٠) الشوقيات ٣٤/١ – ٣٥.

(٢١) ديوان البوصيري، ص٥١.
(٢٢) الشوقيات ٧/٢.
(٢٣) الشوقيات ٣٩/١.
(٢٤) انظر في معلقة الحارث: التبريزي، شرح القصائد العشر، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، ط. الثانية، القاهرة ١٩٦٤م، ص٤٢٩.
(٢٥) المصدر السابق، ص٤٣١.
(٢٦) انظر: التبريزي، شرح القصائد العشر، ص٤٥٧-٤٦١.
(٢٧) ديوان البوصيري، ص٦٣.
(٢٨) المصدر السابق، ص٥٢.
(٢٩) المصدر السابق، ص٥٣.
(٣٠) المصدر السابق، ص٦١.
(٣١) المصدر السابق، ص٦٢.
(٣٢) المصدر نفسه.
(٣٣) ديوان البوصيري، ص٦٨.
(٣٤) المصدر السابق، ص٦٩.
(٣٥) المصدر السابق، ص٧١.
(٣٦) المصدر السابق، ص٥٤.
(٣٧) المصدر السابق، ص٧٥.
(٣٨) المصدر السابق، ص٧٦.
(٣٩) انظر: إبراهيم ناجي، ديوانه " ووراء الغمام "، ط. أولى، ١٩٣٤م.
(٤٠) ديوان البوصيري، ص٨٣.
(٤١) د. شوقي ضيف، فصول في الشعر ونقده، من مقالة عن: مدائح البوصيري، ط. الثانية، القاهرة ١٩٧٧م، ص٢٣٩.
(٤٢) انظر: عبدالله التطاوي: المعارضة الشعرية بين التقليد والإبداع، ط. الأولى، القاهرة ١٩٨٨م، ص١٠٢-١٠٣.
(٤٣) د. شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، ص٢٣٧.
(٤٤) ديوان البوصيري، ص٢٢٠.
(٤٥) د. شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، ص٢٣٧-٢٣٨.
(٤٦) ديوان البوصيري، ص٢٢١.

(٤٧) المصدر السابق، ص٢٢٣.

(٤٨) و(٤٩) فيما ورد في فضل القرآن عن الجملة: أخرج الترمذي والدَّارِمي وغيرهما عن طريق الحارث الأعور، عن علي: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ستكون فتن، قُلتُ فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغْى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبلُ الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط. الثالثة، البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥١م، ١٥١/٢.

(٥٠) ديوان كعب بن زهير، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص٨٥.

(٥١) ديوان البوصيري، ص٢٢٩.

(٥٢) ديوان كعب بن زهير، ص٨٩.

(٥٣) ديوان البوصيري، ص٣٣١.

(٥٤) ديوان البوصيري، ص٢٢٧.

(٥٥) ديوان البوصيري، ص٢٣٠، قلته البيع أقيلُهُ، أي فسخته. واستقال: طلب إليه أن يُقيلَهُ. والتمويل: كثرة المال.

(٥٦) ديوان البوصيري، ص٢٣٠. تخويلٌ: تمليك. التبتيل : الانقطاع إلى الله عن الدنيا. الرآبيل: جميع رئبال، وهو الأسد.

(٥٧) انظر: د. زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ط. الأولى، بيروت ١٩٩٢م، ص١٤٢-١٤٤.

(٥٨) المرجع السابق، ص١٤٧؛ وانظر قصيدته بالكشكول، ط. القاهرة ١٩٦١م، ١٩٩/١-٢٠٣.

(٥٩) ديوان ابن الفارض، تحقيق: د. عبدالخالق محمود، ط. الأولى، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤م، ص١٧٩، ذي سلم: موضع معروف فيه شجر السلم، والواحدة سلمة. البارق: سحاب ذو برق. الزوراء: موضع بالمدينة قرب المسجد. العلم: جبل فرد شرقي الحاجر. أرواح: جمع ريح. نعمان: واد بين مكة والطائف. وجرة: موضع بين مكة والبصرة. وقصيدة ابن الفارض هذه غزلية في ثمانية عشر بيتًا.

(٦٠) ديوان البوصيري، ص٢٣٨.
(٦١) انظر: زكي مبارك، المدائح النبوية، ص١٣٤.
(٦٢) المرجع السابق، ص١٣٤.
(٦٣) انظر عينية ابن زريق في كتاب: بهاء الدين العاملي: الكشكول، ط. القاهرة ١٩٦١م، ١١٨/١ وما بعدها.
(٦٤) ديوان البوصيري، ص٢٤٥.
(٦٥) و(٦٦) د. شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، ص٢٥٢.
(٦٧) المرجع السابق، ص٢٥٢-٢٥٣.
(٦٨) المرجع السابق، ص٢٥٣-٢٥٤؛ وانظر: ديوان البوصيري، ص٢٧٤-٢٧٥.
(٦٩) في أحمد شوقي وشعره، انظر: كتابي د. شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، ط. السابعة، القاهرة ١٩٧٧م، والأدب العربي المعاصر في مصر، ط. الرابعة، القاهرة ١٩٧١م، ص١١٠-١٢٠؛ وأحمد شوقي: الشوقيات، أربعة أجزاء.
(٧٠) مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، ط. الثانية، القاهرة ١٩٨٣م، ٢٩٥/٣.
(٧١) د. شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، ص٨١.
(٧٢) و(٧٣) الشوقيات ٣٤/١.
(٧٤) و(٧٥) و(٧٦) المصدر السابق ٣٥/١.
(٧٧) الشوقيات ٢٠٠/١.
(٧٨) الشوقيات ٣٥/١.
(٧٩) الشوقيات ٣٥/١، ٣٦.
(٨٠) الشوقيات ٣٨/١.
(٨١) الشوقيات ٣٨/١، ٣٩.
(٨٢) المصدر السابق، ٣٩/١.
(٨٣) المصدر السابق، ٣٩/١، ٤٠.
(٨٤) المصدر السابق، ٤١/١.
(٨٥) المصدر السابق، ٦٩/١.
(٨٦) أبو الطيب المتنبي، ديوانه، شرح عبدالرحمن البرقوق، ط. بيروت، د.ت، ٢٣٨/٤.
(٨٧) الشوقيات ٦٩/١، ٧١.
(٨٨) الشوقيات ٧١/١، ٧٢.

(٨٩) ابـن الفـارض، ديوانـه، تحقيـق: د. عبـدالخالق محمـود، ط. أولـى، القـاهرة ١٩٨٤م، ص١٨٩.
(٩٠) البوصيري: ديوانه، ص٢٣٩.
(٩١) الشـوقيات ١٩١/١؛ وانظـر: د. زكـي مبـارك: المـدائح النبويـة فـي الأدب العربـي، ص١٣٤.
(٩٢) الشوقيات، ١٢٦/٢.
(٩٣) المصدر السابق، ١٩٣/١، ١٩٤.
(٩٤) الشوقيات ٢١٧/١؛ وانظر: مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، ط. الثانية، القاهرة ١٩٨٣م، ص٣١١/٣.
(٩٥) من قصيدته : (بعد المنفى)، الشوقيات ٦٤/١.
(٩٦) ديوان البوصيري، ص٢٣٩.
(٩٧) الشوقيات ١٩٤/١، ١٩٥.
(٩٨) البارودي، كشف الغمة، ص٨.
(٩٩) الشوقيات ١٩٦/١.
(١٠٠) المصدر السابق، ١٩٧/١.
(١٠١) البوصيري، ديوانه، ص٢٤١.
(١٠٢) البوصيري، ديوانه، ص٢٤٤-٢٤٥.
(١٠٣) البوصيري، ديوانه، ص٢٤٥.
(١٠٤) الشوقيات ١٩٨/١.
(١٠٥) الشوقيات ١٩٩/١-٢٠٠.
(١٠٦) البارودي، كشف الغمة، ص٤.
(١٠٧) الشوقيات ٢٠٥/١.
(١٠٨) المصدر السابق، ٢٠٧/١.